محمد بن على السنوسى

# مع الشعراء

## دراسات وخواطر أدبية

مطبوعات نادى جازان الأدبى



مع الشعـــــــراء

# مع الشعراء

## دراسات وخواطر أدبية

تأليف
محمد بن علي السنوسي

الجزء الأول

[ الطبعة الأولى ]

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

أرأيت إلى السائر في الحديقة الغناء تموج بالخمائل وتفيض بالجداول فواحة بالأزهار صداحة بالأطيار ؛ كذلك كنت أنا في هذا الكتاب ، فهو مجموعة من الفصول والمقالات الأدبية كتبت في أوقات مختلفة وحالات متباينة يرجع بعضها إلى ما قبل عشرين سنة ويعود بعضها الآخر إلى ثلاث سنين وسنة . كان منها ما نشر في المجلات والصحف الأدبية ، وكان منها ما أذيع في برنامج ( أحاديث السهرة ) من إذاعة المملكة العربية السعودية . وبعد ، فإن هذه المقالات وتلك الفصول كانت أثراً لقراءاتي المتعددة في دواوين الشعراء وصحائف المجلات الأدبية. وكان هجيراي أثناء القراءة التوقف والالتفات عند القصائد الرائعة والأساليب المشرقة في آثار أولئك الشعراء الذين كتبت عنهم. فإذا قرأت ما يهز النفس ويحرك المشاعر وأحسست بأثرها في نفسي شرعت قلمي بين يدي ومضيت أكتب أثر ذلك الشعر في إحساسي بروح الأديب وذوق الشاعر، متعاطفا مع أولئك الشعراء في أكثر الأحيان . وما زال ذلك دأبي حتى تجمعت عندي عدة من الفصول والمقالات من هذا اللون المبني على الذوق الأدبي والأحاسيس الفنية . فرأيت أن أجمعها في كتاب يحفظها من الضياع ويصونها من الإهمال ؛ لا لأنها بدائع أو روائع كما يقول أحد الأدباء عن نفسه ، ولكن لأنها قطعة من مشاعري وفلذة من أحاسيسي الفكرية . كم قضيت من الليالي ساهراً وراء تصحيح كلماتها وتأليف شتاتها .

وشيء آخر لابد من قوله في هذا المجال : ذلك أن النقد الأدبي منذ نصب النابغة الذبياني خيمته في سوق عكاظ ، وهو يعتمد على ( الذوق الأدبي )

فى تمييز الجيد من الردىء والجميل من القبيح فى فن القول شعراً ونثراً ، وعلى مدى الزمن وتطور العصر وتقدم الحياة الأدبية من ذلك التاريخ السحيق إلى عصرنا الحاضر ظل النقد ولا يزال برغم تعدد مذاهبه واختلاف مدارسه يعتمد على ذوق الناقد وأصالة هذا الذوق الفنى فى ملكته الفكرية وطبيعته الأدبية .
ومعلوم أن الذوق الأدبى لا يوجد اعتباطاً ولا ينشأ بين عشية وضحاها ، ولكنه ثمرة مراس طويل وتجارب عديدة وقراءات واسعة وثقافة غزيرة ومعرفة شاملة لكل جيد من الشعر والنثر : حتى تصبح هذه الملكة شيئاً طبيعيا فى الناقد ولا سيما حين يكون شاعراً بطبعه ؛ فهو لا يحتاج حينئذ إلى جهد فى البحث ولا معاناة فى الفحص ، فما هو إلا أن يقرأ الأثر الأدبى حتى يحس إحساساً فنيًّا بما فيه من قبح أو جمال وجودة أو رداءة، سواء كان ذلك فى الموضوع أو الشكل . وإنى لا أزعم فى هذه الفصول والمقالات أنها نقد أدبى أو دراسة فنية لآثار من كتبت عنهم ، ولكنها مصاحبة لهم فى آثارهم التى استمتعت بقراءاتهـــا ، وأثرها فى نفسى ... ولذلك حين جمعتها سميتها ( مع الشعراء ) لتدل بمعناها وفحواها على المصاحبة والمسامرة وليس غير ، والله ولى التوفيق .

المملكة العربية السعودية جازان فى ١ / ١٠ / ١٣٩٧ هـ

محمد على السنوسى

(١)

## الشاعر على محمود طه

### بين الأستاذ مصطفى صادق الرافعى والدكتور طه حسين

ليس بين الأدباء المعاصرين من لم يعرف الخصومة الأدبية التى قامت بين المرحومين الأستاذ مصطفى صادق الرافعى وبين الدكتور طه حسين، وليس بين شداة الأدب فى العصر الحديث من لم يشغف بتلك الخصومة ويتقصى آثارها المنشورة فى الكتب والمجلات الأدبية . وليس مما يعزب عن الأذهان أيضا أن أساس تلك الخصومة الأدبية كان فى اختلاف نظرة كل من الأديبين الكبيرين إلى ماهية ( التجديد ) فى الأدب العربى ؛ فقد كان طه حسين يرى فى أسلوب الرافعى أسلوباً ربما راق لأهل القرن الخامس أو السادس الهجرى ولكنه لا يروق فى هذا العصر الحديث الذى تغير فيه الذوق الأدبى ـ على حد تعبيره ـ والحق أننى ما قرأت مقالا أدبيًّا للرافعى من كتابه الشامخ ( وحى القلم ) إلا رأيتنى مأخوذاً بسحر أدب فنى خالص يرتفع بأسلوبه المتين وديباجته الرائعة وبيانه الآسر إلى أعلى مستوى النثر الفنى الرفيع، فأنت تجد حين تقرأ الرافعى روحاً من البيان العربى فيها وهج الفكرة وعظمة الأداء ومتانة البناء وأناقة التعبير وزخرف الفن وسمو الطبع : سمات أدبية تنتشر فى كل ما زاوله الرافعى من الكتابة فى شتى المواضيع مهما اختلف نوع المادة التى يتناولها بالبحث والتحليل أو الوصف ؛ فأدب الرافعى أدب القوة البيانية والقوة الخلقية والقوة اللغوية إلى آخر ماشئت أو تصورت من القوة بكل ما يتسع له مدلول هذه الكلمة من معنى .

وأنت تقرأ أدب طه حسين فتجد روحاً امتزجت بالأدب الغربى وتضلعت من مادته إلى أوسع مدى التضلع ، وهى إلى جانب ذلك تحتفظ من الأدب العربى بأصول عميقة وفيض غزير ، وقد امتزج كل منهما بالآخر امتزاجاً غير

متعادل حتى لتـكاد الروح الغربية تطغى على الروح العربية طغياناً شديداً لولا بقية من صفاء الطبع وأصالة الفطرة . فأسلوب طه حسين أسلوب الانسيابية الهادئة ، وأسلوب الرافعى أسلوب التدفق الهادر ... تقرأ طه حسين فتجد فى نفسك شعوراً هادئاً ينبعث من تلك السهولة واليسر فيما يريد الإفصاح عنه من العواطف والأحاسيس، وتـكاد تسبقه إلى معرفة ما يريد الإفضاء به من المعانى وألوان الشعور ، ولن تأخذك أمام تلك السهولة أية دهشة أو روعة تبعثك على التوقف أمام تصوير فنى أو تركيب مبتـكر ، وإنما هى المشاهد المألوفة فى صور الحياة اللفظية يؤديها إليك أداء رقيقا ويفضى بها إفضاء هادئاً ، فيما عدا بعض أسلوبه المـكرر حين يريد أن يوضح المعنى توضيحاً يتجاوز به أقصى درجات الإيضاح مما يؤول به آخر الأمر إلى ما يشبه العى والإملال . .

ولـكنك على العـكس من ذلك أمام أى فصل من فصـــول الرافعى فى كتابه ( وحى القلم ) فأنت مضطر إلى أن تستقطب صفاء فـكرك وتبلور أشعة ذهنك لتقف أمام هذا المتحف البيانى المتوهج بشعاع الفن وتلميحات التصوير فمن وراء كل كلمة ألق من الإبداع ومن خلال كل جملة قبس من التوليد والاختراع .

ولـكن مالى وللرافعى وطه حسين وأنا أريد أن أتحدث عن الشاعر المبدع ( على محمود طه ) هذا الشاعر الذى كان شعره وثيقة الاتفاق الأدبى بين طه والرافعى فيما اختلفا فيه من قديم وحديث .

وبيان ذلك أن طه حسين كان يتبوأ عرش النقد الأدبى فى جريدة السياسة الأسبوعية التى كان يصدرها بمصر فى مطلع هذا القرن الدكتور ( محمد حسين هيكل ) وكان من حقه أى طه حسين وقد استوى على عرش النقد أن يصدر (مراسم) التشريف والتزييف لـكل ما يقدم إليه من النتاج ـ منثوراً ومنظوماً ـ

وعلى ذلك فقد قدم الشاعر على محمود طه ديوانه ( الملاح التائه ) إلى الدكتور طه حسين ليصدر حكمه فيه ، وقدم فى الوقت نفسه نسخة من ذلك الديوان إلى الأستاذ الرافعى ، وانتظر مايصدر فى حقه من أديبين يتنازعان سلطان التقديم والنقد لكل ما يعرض فى السوق الأدبية من نفائس وتحف .

انطلق طه حسين فى نقده للديوان شوطاً بعيدا فى التمهيد لما يريد قوله . فهو قد انصرف عن الحديث فى الأدب العربى مدة لا تقل عن عشر سنوات وهو يريد أن يمضى فيه الآن حراً طليقاً لا يقيد نفسه بزمن ولا بمكان ولا بلون من ألوان الأدب . ولكن الأدب العربى واسع بعيد الأطراف مختلف الفنون متباين الأزمنة والأمكنة، فلا عليه أن ينتقل بهذا الحديث من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى بيئة ومن فن إلى فن ولا يتبع فى ذلك إلا ظروف القراءة وأهوائها وظروف القراء غير المنظمة ولا المطردة ، وأنه قد يحتاج إلى شىء من التجربة والمران ليستقيم له طريقه على ما أحب إلى آخر ما تدفق به قلمه الفياض من فنون القول وأساليب البيان ، فى حلقة مفرغة لا تنتهى إلا لتبدأ ولا تبدأ إلا لتنتهى،وخلص بعد ذلك كله إلى أنه كاد ـ لو جارى نفسه وانطلق مع خواطرها ـ أن يتم هذا الفصل قبل أن يبلغ الملاح التائه ولاضطر إلى أن يعد القارئ والشاعر بنقد هذا الديوان البديع فى فصل آخر يذاع بعد أسبوع ولكنه لا يريد أن يقلد المازنى ولا يريد أن يدير حول النقد فصلا كاملا دون أن يبلغه. أرأيت إلى أسلوب التكرار والتمطيط ونحن بعد لم نبلغ الغاية من وراء هذه التمهيدات المحمول بعضها على بعض فى غير اضطرار من موجبات البحث أو دواعى التحليل لما بين يديه من الأثر الفنى. والخلاصة بعد كل ما أجملناه وضممنا بعضه إلى بعض من كلام الدكتور طه حسين وخواطره أنه وصل إلى ديوان الملاح التائه وأثنى ثناء عاطرا على العلماء الذين يعنون بالأدب ( لأن شاعرنا مهندس ) ويفرغون

له من حين إلى حين . الخ، ثم عاد فتناول شخصية الشاعر من عدم معرفته به فيما مضى وعدم سماعه عنه ، وأنه بعد أن اطلع على الديوان رضى عن الشاعر من وجه وسخط عليه من وجه آخر وعلل ذلك السخط وهذا الرضى بتلك الحيرة العميقة الطويلة العريضة التى لا حد لها والتى كأنها محيط لم يوجد على الأرض هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحاً تائها حقا والتى تقذفه من شك إلى شك ومن وهم إلى وهم ومن خيال إلى خيال. وذلك فيما أستخلصه من قراءة قصيدة ( الله والشاعر ) التى تصور الشاعر وشكه فيما يضطرب به هذا الكون من شقاء ونعيم وسعادة ونحس ثم خلص من ذلك كله إلى تأثر الشاعر بالروح ( العلائية ) أو البيرونية ) سواء كان ذلك عن قصد وسعى أو عن غير قصد ولا سعى . ثم عرض لقصيدة (غرفة الشاعر). وأثنى على الصور المتتابعة المختلفة التى حفلت بها هذه القصيدة معللا اجمال هذه الصور من حيث بعدها عن حياة الشعراء الشرقيين وقربها إلى الترف الغربى الذى يغمر شعراء الغرب الذين يكلفون بالسهاد فى غرفة يضطرب فيها نور ضئيل شاحب وتفنى فيها الجذوة الخ ما يقول الدكتور طه . وأنا لا أريد أن أمر على هذا التعليل بدون أن أعقب عليه؛ فقد كلف طه حسين بالحياة الغربية كلفا شديدا وشغف بألوانها النفسية والفكرية والاجتماعية شغفا عظيما حتى أصبح يفسر كل صورة من صور التجديد فى الأغراض الشعرية فى تراثنا الأدبى بأنه تغريب للشعر وبعد عن الحياة الشرقية . ومن ذلك قام يعلل الصور التى ألفها خيال الشاعر فى قصيدة (غرفة شاعر ) بأنها صورة غربية مع أن هذه الصور التى تتسم بها هذه القصيدة هى من الصور النفسية التى تشترك فيها الحياة الفكرية لجميع الأمم على اختلاف أجناسها، وليست خصيصة من خصائص الأدباء الغربيين. ونحن نفهم من حياتنا الأدبية فيما تعالجه من هذه الشئون الفكرية كيف يختلى الشاعر أو الكاتب فى غرفة يسامر فيها خواطره ويندمج فى خلالها فى سكون إطراقته الفكرية فى عالم من الخواطر والمشاعر

تتراقص مع وشائج الأضواء الشاحبة التى ينبعث بها الراح خلال صمت التجلى وهدوء الإلهام . ورحم الله الشاعر جريرا ؛ فقد حدثنا الرواة عنه أنه عند ما نظم قصيدته المشهورة :

أَقِلِّي اللَّوْمَ عاذلَ والعتابا    وقولى إن أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابا

كيف اختلى فى غرفته وأوقد مصباحه وسرى شلاله الشعرى يتدفق فى هدوء الليل الصامت حتى انبلج الفجر فى آخر مقطع من تلك القصيدة التى بلغت ثمانين بيتاً هتف عند نهايتها ( أخزيته ورب الكعبة ) ؛ يقصد الشاعر الراعى الذى كان يفضل عليه الفرزدق . وإذن فالسهر والاختلاء فى الغرف ومناجاة عـذارى الشعر وعرائس الفن أمر يتصل بالطبيعة الفنية للكاتب والشاعر فى كافة الأمم ـ ثم انتهى الدكتور طه حسين من حديثه ذلك إلى النتيجة التى ينتظرها القراء ، فقرر أن الملاح التائه (حلو الأسلوب جزل اللفظ جيد اختيار الكلام ، وأن لألفاظه ومعانيه رونقا أخاذا تألفه النفس وتكلف به وتستزيد منه ، وأن فى شعره موسيقى قلما يظفر بها فى شعر كثير من شعرائنا المحدثين ،وأنه استطاع أن يلائم ـ إلى حد بعيد ـ لا بين جمال اللفظ وجمال المعنى فحسب بل بين التجديد والاحتفاظ باللغة فى جمالها وروائها وبهجتها وجزالتها ، كل ذلك ظاهر فى ديوانه لا يكاد يستثنى منه إلا هذه القصائد التى قيلت فى المناسبات العامة ولم يوحها الشعور الطبيعى لنفس الشعر ) ثم التفت إلى الشكل العظمى لبناء القصيدة فى موسيقيتها الوزنية والقافية ولاحظ على الشاعر عدم تآلف القافيتين فى البيتين التاليين :

روحك فى روحى تبث الحياة    نزلت دنيـــاى على نورها

فإن جفـــاه ذات يوم سناه    لاذت بليـــل الموت فى قبرها

وهى ملاحظة فنية شديدة التقصى والتدقيق ، فإن التنافر بين القافيتين كما يقرر الدكتور طه يقـع هنا بين الباء الساكنة من كلمة ( قبرها ) والواو

الساكنة من كلمة ( نورها ) . وقد اختص الدكتور بهـــذه الخصيصة الفنية في النقد ، وهي لا شك ذات قيمة أدبية من حيث أخذ الشاعر بأدق مقاييس الإجادة وأرق موازين الإتقان فيما يعالجه من الآثار الفنية وأخصها الشعر . ولقد كانت مثل هذه الهنات الطفيفة تسلط عليها أمثال هذه المجاهر النقدية لتظهرها مجسمة لعين القارئ العادي والقارئ المثقف بشكل يدعو إلى الاغتباط، ومن ذلك أيضا أخذه على الشاعر تقصيره في ذات النحو كما جاء في هذا البيت :

إن كنت في شكواي بالمذنب فمنك يارب أخذت الأمان

فالباء في خبر كان التي لم يسبقها نفي غريبة وثقيلة على الأذن – وأشهد أنني أعجبت بهذه القسوة في النقد الأدبي وأراها أداة من أدوات الحجر الأدبي والوقاية الفنية تحمي جسم الأدب العربي من جراثيم الهجنة وآفات الركاكة . .
وبعد ، فما هو رأي الدكتور طه وهو يحاسب علي محمود طه في التنافر اللفظي بين الباء الساكنة والواو الساكنة لو قرأ هذا الكلام الذي يسميه أصحابه شعراً وهو :

من يصحبني
من يعضدني
أنا إعصار
أنا يا وطني أنا جبـــار
زحفت إلى وطني
تتآكلني نار
ويزمجر خلفي إعصار
أزف الثار أزف النار

أرأيت هذا الكلام الذي يقال لنا إنه شعر وما يُرَادُ به وايم الحق إلا إفسادُ الذوق العربي باسم التجديد في الأدب والفن .

## (٢)

## الشاعر على محمود طه

### بين الأستاذ مصطفى صادق الرافعى والدكتور طه حسين

تحدثت فى الفصل الأول من هذه الدراسة عن نقد الدكتور طه حسين لديوان الملاح التلائه وأسلوبه فى الكتابة ؛ وها أنا أتحدث فى هذا الفصل عن الأستاذ مصطفى الرافعى فى نقد هذا الديوان وأسلوبه فى الكتابة الأدبية أيضا .

استهل أديب العربية الكبير حديثه الأدبى الممتع قائلا : ( إذا أردت أن أكتب عن شعر، فقرأته، كان من دأبى أن أقرأه متثبتا، أتصفح عليه فى الحرف والكلمة، إلى البيت والقصيدة، إلى الطريقة والنهج، إلى ما وراء الكلام من بواعث النفس الشاعرة ودوافع الحياة فيها وعن أى أحوال هذه النفس يصدر هذا الشعر؟ وبأيها يتسبب؟.. إلى الإلهام، وفى أيها يتصل الإلهام به؟ وكيف يسترسل إلى طبعه؟ ومن أين المأتى فى رديئه وسقطه ؟ وبماذا يسلك إلى تجويده وإبداعه؟ ثم كيف حدة قريحته وذكاء فكره والملكة النفسية البيانية فيه؟ وهل هى جبارة معتسفة تملك البيان من حدود اللغة فى اللفظ إلى حدود الإلهام فى المعنى؟ ملكة استقلال تنفذ بالأمر والنهى جميعاً، أو هى ضعيفة رخوة ليس معها إلا الاختلال والاضطراب وليس لها إلا ما يحمل الضعيف على طبيعته المكدودة كلما عنف به سقط به . أتبين كل ذلك فيما أقرؤه من الشعر ثم أزيد عليه انتقاده بما كنت أصنعه أنا لو أنى عالجت هذا الغرض أو تناولت هذا المعنى ثم أضيف إلى ذلك كله ما أثبته من أنواع الاهتزاز التى يحدثها الشعر فى نفسى. فإنى لأطرب للشعر الجيد الوثيق أنواعاً من الطرب لا نوعاً واحداً وهى شبيه فى الطرب ما بين قطرة الندى الصافية فى وردها الباسم وقطرة الشماعة المتألقة فى جوهر الماسة وموجة النور المتألهة فى كوكب الزهرة) . بهذه الكلمات المنمنمة والجمل الموشاة، أبان الرافعى عن طريقته فى النقد ونهجه فى التذوق ومقاييسه فى التقييم ، كل ذلك بأسلوب يجمع إلى رصانة التمهيد ورشاقة التعبير . فهل ترى من فضول ؟

لا وإنما هو الفن وإنما هو الزخرف وإنما هو الأدب. وليس بأديب من لم يصنع فى أساليب البيان ما تصنعه النحلة فى أزاهير الجنان ترشفه رحيقاً وتمجه عسلا ، ورحم الله البحترى فكأنما نظر من وراء ألف سنة ونيف إلى ما يكتبه الرافعى من أساليب النثر الفنى حين قال :

لتفننت فى الكتابة حتى | عطل الناس فن عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ما شكّ | كَ امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك | فى رونق الربيع الجديد
ومعان لو فصلتها القوافى | هجنت شعر جرول ولبيد
كالعذارى غدون فى الحلل البيـ | ض وقدرحن فى الخطوط السود

وأحسبه، أى الرافعى - وبين يديه ديوان الملاح التائه كالخميلة الفينانة زهرا وعبيرا وظلا وغديراً - نظر إلى ما تقذفه المطابع وتسيل به أنهار الصحف من الشعر المسجوع والأدب الركيك فهاله أن يرى حديقة الشعر العربى هدفاً لغزو الطفيليات وغارات الحشرات فالتفت يمنة ويسرة وأرسل صيحته المدوية قائلا: ( وأكثر الشعر الذى ينظم فى أيامنا هذه لا يتصل بنفسى ولا يخف على طبعى ولا أراه يقع من الشعر الصحيح إلا من بعد ، وهو منى أنا كالرجل يمر بى فى الطريق لا أعرفه فلا ينظر إلى ولا أنظر إليه فما أصر منه رجلا وإنسانية وحياة أكثر مما أراه ثوباً وحذاء وطربوشاً والعجيب أنه كلما ضعف الشاعر من هؤلاء قوى على مقدار ذلك فى الاحتجاج لضعفه وألهم من الشـــواهد والحجج ما لو ألهم بعدده من المعانى والخواطر لكان عسى . . فإذا نافرت المعانى ألفاظها واختلفت الألفاظ على معانيها، قال: إن هذا فى الفن هو الاستواء والاطراد والملاءمة وقوة الحبك . وإذا عوص وخانه اللفظ والمعنى جميعاً وأساء ليتكلف، وتساقط ليتحذلق وجاء بشعره وتفسير شعره والطريقه لفهم شعره قال إنه أعلى من إدراك معاصريه . وإن عجرفة معانيه هذه آتية من أن

شعره من وراء اللغة ومن وراء الحالة النفسية ومن وراء البصر ومن وراء الغيب كأن الموجود بين الناس هو ظل شخصه لا شخصه . والظل بطبيعته مطموس مبهم لا يبين إبانة الشخص . وإذا أهلك الاستعارة وأمرض التشبيه وخنق المجاز بحبل قال لك: إنه على الطريقة العصرية وإنما سدد وقارب وأصاب وأحكم . وإذا سمى المقالة قصيدة وخلط فيها خلطا وجاء بها فى أسوأ معرض وأقبحه وخرج إلى ما لا يطاق من الركاكة والغثاثة قال لك : هذه هى وحدة القصيدة ، فهى كل واحد أفرغ إفراغ الجسم الحى ، رأسه لا يكون إلا موضع رأسه ورجلاه لا تكونان إلا موضع رجليه ) .

بمثل هذه السياط النقدية جلد الرافعى ظهور المتشاعرين فى أيامه وكشف الستار عن الزيف والزغل وما به كما يقول زجر الضال ولكن ليمنع المهتدى أن يضل . كان ذلك منذ ربع قرن تقريباً والنهضة الأدبية فى عنفوان شبابها والحركة الفكرية فى ذروة اشتبابها والشعر بخير والذوق فى عافية . فكيف كان يكتب الرافعى لو اطلع على هذا النموذج من الشعر الحديث :

الموت عبر حدودنا فليزحفوا
وليهجموا وليعتدوا وليعرفوا
أن الدماء دماؤنا خلف الحدود
تغلى وتصنع من جديد
تاريخ شعب يهتف
فليزحفوا
وليعرفوا
أنا سنرجع بالإرادة والحديد
أرض الجدود
وليصرخوا وليكذبوا وليهرفوا

وبعد ، فلنعد إلى ما نحن بصدده ولننظر ماذا قال الرافعى فى ديوان الملاح التائه بعد ذلك التمهيد البارع والاستطراد البليغ قال : أما فريق المتشاعرين فليمثل له القارىء بمن شاء وهو فى سعة . وأما فريق الشعراء ففى أوائل أمثلته عندى الشاعر المهندس على محمود طه ، أشهد أنى أكتب عنه الآن بنوع من الإعجاب الذى كتبت به فى المقتطف عن أصدقائى القدماء محمود البارودى وإسماعيل صبرى وحافظ وشوقى رحمهم الله . وديوان الملاح التائه لا ينزل بصاحبه من شعر العصر دون الموضع الذى أومأنا إليه ، فما هو إلا أن تقرأه وتعتبر ما فيه بشعر الآخرين حتى تجد الشاعر المهندس كأنه قادم للعصر محملا بذهنه وعواطفه وآلاته ومقاييسه ليصلح ما فسد ويتمم ما تداعى ويرم ما تخرب ويهدم ويبنى ، هو شعر تعرف فيه فنية الحياة . وليس بشاعر من لا ينقل لك عن الحياة نقلا فنياً . وليس فى شعر على محمود طه من عصرياتنا غير القليل ولكن العجيب أنه لا ينظم فى هذا القليل إلا حين يخرج المعنى من عصره ويلتحق بالتاريخ كرثاء شوقى وحافظ وعدلى وفوزى المعلوف والطيارين دوس وحجاج والملك العظيم فيصل . فإن يكن هذا التعبير عن قصد وإرادة فهو عجيب ، وإن كان اتفاقاً ومصادفة فهو أعجب على أنه فى كل ذلك إنما يرمى إلى تمجيد البطولة فى مظاهرها متكاملة وسياسية ومغامرة ومالكة . أما سائر أغراضه فإنسانية عامة تتغنى النفس فى بعضها وتمرح فى بعضها وتصلى فى بعضها ، وليس فيها طيش ولا فجور ولا زندقة إلا ظلالا من الحيرة والشك كتلك التى فى قصيدة ( الله والشاعر ) وأظنه يتابع فيها المعرى . ولست أدرى كم ينخدع الناس بالمعرى هذا ، وهو فى رأيى شاعر عظيم غير أن له بضاعة من التلفيق تعدل ما تخرجه ( انكشير ) من بضائعها إلى أسواق الدنيا . وأسلوب شاعرنا — وهذا بيت القصيد — أسلوب جزل أو إلى الجزالة أقرب ، تبدو اللغة فيه وعليها لون خاص من ألوان النفس الجميلة يزهو زهوة فيكثر منه فى النفس تأثيرها وجمالها .

وهذه لغة الشعر بخاصة . ولا بد أن ننبه هنا إلى معنى غريب ؛ ذلك أنك تجد في بعض النظّامين من يحسنون فن اللغة وفنون الأدب فإذا نظموا وخلا نظمهم من روح الشعر ظهرت الألفاظ في أوزانهم وكأنها فقدت شيئا من قيمتها ، كأن موضعها في هذا النظم غير موضعها في اللغة وعلى طه إذا حرص على أسلوبه وبالغ في إتقانه واستمر يجريه على طريقته الجيدة متقدماً فيها متعمقاً في أسرار الألفاظ وما وراء الألفاظ وهي تلك الروعة البيانية التي تكون وراء التعبير وليس لها اسم في التعبير معتبراً اللغة الشعرية – كما هي في الحقيقة – تأليفا موسيقيًّا لا تأليفاً لغويًّا فإنه ولا ريب سيجد من إسعاف طبعه القوى وعون فكره المشبوب وإلهام قريحته المولدة ما يجمع له النبوغ من أطرافه بحيث يعده الوجود من كبار مصوريه وتتخذه الحياة من بلغاء المعبرين عنها في العربية .

ويخيل إليّ أن الرافعي وهو في نشوة الإعجاب بديوان الملاح التائه أغض النظر عن الهنات الطفيفة التي كشفها طه حسين في نقده لذلك الديوان ، وأنا بالرغم من إعجابي ببيان الرافعي وأسلوبه أرى أنه كان متأثراً في نقده للديوان بشعور الاغتباط وعاطفة الانتصار لمذهبه لما اشتمل عليه ذلك الديوان من تماسك النسج وجمال التنسيق وعروبة الذوق ، فغفر الله له – كل ما عدا ذلك من سقطات النحو وسقطات الوزن ولسان حاله يقول :

وما نبالي إذا أعراضنا سلمت ... بما فقدناه من مال ومن نشب

رحم الله الرافعي وعوضنا عنه رافعيًّا جديداً .

## (١)
## طه حسين والشعراء
### شوقى ـ حافظ ـ نسيم

(لنحب سقراط وأفلاطون ولكن لنحب الحقيقة أكثر منهما). ما أعظمها كلمة وما أروعها حكمة أرسلها عبر التاريخ الإنسانى منذ أكثر من ألفى سنة الفيلسوف اليونانى العظيم (أرسطوطاليس) فوضع بذلك اللبنة الأولى فى صرح الاستقلال الفكرى والحرية العقلية وسما بالعقل الإنسانى إلى أسمى مراتب التحرر والانطلاق وأعطاه حق الحرية المقدس فى مناقشة حقائق العلم والأدب مجرداً من عبودية المحاكاة ووثنية التقليد.

وقد قدمت هذه الكلمة بين يدى حديثى هذا لأقول كما قال أرسطوطاليس: لنحب طه حسين ولكن لنحب الحقيقة أكثر منه. هذه الحقيقة هى بحث مدى الصحة والصواب فى آرائه النقدية التى أرسلها فى ثلاث قصائد لشوقى وحافظ ونسيم.

ومن عجيب الاتفاق أن يكون صاحب هذه الكلمة الخالدة هو الفيلسوف اليونانى المذكور مؤلف كتاب الأخلاق الذى ترجمه إلى العربية فيلسوف الجيل الأستاذ لطفى السيد فأثار به ضجة أدبية كبرى انتعش بها الأدب واحتفلت بها الأقلام وانطلقت بها الأفكار. وأنا لا يعنينى فى هذا الموضوع إلا ناحيته الأدبية وجانبه الفنى؛ فقد ترجم لطفى السيد كما أسلفت كتاب الأخلاق واستحق لذلك ثناء الكتاب وإطراء الشعراء. وكان فى مقدمة أولئك الشعراء شوقى وحافظ ونسيم الذين تعرضت قصائدهم لنقد الدكتور طه حسين فى أحاديثه التى كان يكتبها فى جريدة السياسة الأسبوعية فى يوم الأربعاء من كل أسبوع ثم جمعها أخيراً فى كتابه القيم (حديث الأربعاء).

أجل لقد ظفر (أبوللو) بثلاث قصائد غراء عطرت الجو الأدبى بنفحات

العبقرية ونسمات الخلود . ولكن الدكتور طه لا يعجبه العجب كما يقولون؛ فهو لا يعلم أن كاتباً أو مؤلفاً مصريًّا ظفر بمثل ما ظفر به الأستاذ لطفى السيد من هذا الثناء المتصل والإعجاب الذى لا حد له ، ولا يعلم كاتباً أومؤلفاً مصريًّا فى هذا العصر أكره خصومه وأصدقاءه على أن يحمدوا له عمله فى غير بخل ولا تقتير ، ولا يعلم أن كاتبا أو مؤلفاً مصريًّا فى هذا العصر أجرى أقلام الكتاب وأطلق ألسنة الشعراء بمدحه وإطرائه كما فعل الأستاذ لطفى السيد حين أذاع فى الناس ترجمة كتاب الأخلاق (لأرسطو) وليس يعنيه ما كتبه الكاتبون من رسائل وفصول وإنما الذى يعنيه هو هذا الشعر الذى أطلق به الأستاذ ألسنة الشعراء وأى الشعراء ؟ شوقى وحافظ ونسيم . فإذا كان الحق عليه أن يهنىء الأستاذ بهذا الثناء الطيب فإن من الحق عليه أيضا أن يقف عند هذه القصائد . وهو كذلك يستأذن هؤلاء الشعراء أن يكون حرًّا فى نقد هذه القصائد؛ فقد تعود الحرية وحرص عليها، وأكبرها أن يضحى بها فى سبيل إنسان مهما تكن منزلته من الناس ولو كان هذا الأستاذ لطفى السيد أو شوقى أو حافظ أو نسيم . جولة طويلة جدًّا فى دهاليز كلامه يشبه بعضها بعضاً . ثم يصل الدكتور إلى قصيدة شوقى فيختار بعض أبياتها هدفاً للنقد وغرضاً للتجريح فيقول : ( ربما كان شوقى أحق الشعراء الثلاثة بأن يعتب فى هذا الموضوع فهو من بينهم قد تعلق بأرسطو وأراد أن يشيد بذكره ويرفع من شأنه وخص له من من قصيدته أكثر مما خص الأستاذ المترجم . ولعلك تدهش ، ولعل شوقى نفسه يدهش إذا قلت لك إنه لم يمدح أرسطو وإنما مدح أفلاطون . نعم أراد عمراً وأراد الله خارجة ، ولكنه أراد عمراً بالخير فانصرف هذا الخير إلى خارجة؛ لأن الشاعر لم يحسن تلمس السبيل إلى عمرو ، ولولا أن نفوس الحكماء رضية بطبعها لكان من حق أرسطو أن يخاصم شوقيًّا وأن ينفس على أفلاطون

أستاذه هذا المدح الذى جاءه من حيث لا يحتسب . أراد شوقى به ( أرسطو ) وأراد الله أفلاطون . ولست فى حاجة إلى أن أطيل القول فى أن شوقياً لم يمدح أرسطو . فيكفى أن تقرأ قصيدة شوقى لترى أنه يصف أرسطو بأنه سبق إلى التوحيد وبأنه كان قدسى الروح وبأن لطفى صدى صوته الرخيم وبأن رسائله كالسلاف إذا جرت فى جسم النديم . وإذا كان بين فلاسفة اليونان من سبق إلى إعلان التوحيد فليس هو أرسطو ولم يكن أفلاطون بل ربما لم يكن هو سقراط أيضاً ؛ فقد سبق فلاسفة اليونان إلى التوحيد فى القرن الخامس قبل المسيح ولكن الشىء الذى يستحق العناية هو أن هناك فيلسوفاً يونانيًّا يقرن إلى المسيح وتعتبر فلسفته أصلا من أصول الديانة المسيحية ومصدراً من مصادرها وليس هذا الفيلسوف أرسطو وإنما هو أفلاطون . أفلاطون صاحب المثل أفلاطون الذى أمعن فى طلب المثل الأعلى والذى استطاع أن يرقى بالنفس الإنسانية والفكرة الإلهية إلى حيث لم يسبقه ولم يدركه فيلسوف بعده) . وأخيراً يختم طه كلمته هذه قائلا : ( لو عرف شوقى إله أرسطو لما استطاع أن يقول :

من كان فى هدى المسيـ ح وكان فى رشد الكليم

ولكن الشىء المؤلم هو أن يقول شوقى عن أرسطو :

ورسائل مثل السلا ف إذا تمشت فى النديم
قدسية النفحات تسـ كر بالمذاق وبالشميم
يا لطف أنت لها الصدى من ذلك الصوت الرخيم

أى الرسائل يريدون ، الذى يستطيع أن يزعم أن آثار أرسطو تشبه السلاف من قرب أو بعد ؛ ومن الذى يستطيع أن يزعم أن فى رسائل أرسطو شيئاً قليلا أو كثيراً من هذه النفحات القدسية ؟ ومن الذى يستطيع أن يزعم أن صوت أرسطو كان رخيماً ) .

الله الله يا دكتور طه ما هذا التجنى ؟ وما هذا الإسراف . وما عرفناك إلا أديباً مصقول الذوق شفاف الشعور تطربه الكلمة الرشيقة والمعنى البديع . وطالما رأيناك تقف عند القطعة الشعرية الخلابة وقفة الفنان الطروب والأديب الذواق . فما لك وقفت هذه المرة تجاه هذه اللوحة الفنية الرائعة وقفة الحطاب من الشجرة لا يرى منها إلا موضع فأسه من كعوبها ومفاصلها. أما اخضرارها اللامع وجمالها البارع وفروعها المهدلة وزهورها المتفتحة . . فذلك شيء آخر لا يهمه ولا يلتفت إليه . أجل مالك يا دكتور تقف إزاء هذه الوردة الباسمة بالنضارة والرواء المتألقة بالنور والعطر لتضعها بين أصبعيك وتوسعها تقليباً وفحصاً لتعرف مماذا يتكون نسجها وكيف تتألف خلاياها النباتية ثم تلقيها من يديك فتاتاً وجذاذاً فى ضجر وتذمر لتقول إنها لا شيء .

عفواً يا دكتور إذا نحن خالفناك فى هذا ورأينا لأنفسنا رأياً آخراً ، وقلنا إن الشعر فن والفن يعتمد على اللفتة البارعة واللمحة الخاطفة، وهو لذلك لا يحتمل كل هذه الحذلقة ولا يتسع لكل هذا التطويل. وقديما ضاق البحترى بمثل هذه الصفة فى نقاد عصره ممن يطلب أن تكون القصيدة كتاباً والبيت خطاباً فزجرهم بهذه الأبيات الجميلة :

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يكفى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

وبعد فهل كان شوقى مخطئاً فى قوله :

يا لطف أنت لنا الصدى من ذلك الصوت الرخيم

فيحق لطه حسين أن يزعم أن صوت أرسطو لم يكن رخيما ـ معذرة يا دكتور إذا أنا قلت إنك جانبت الصواب جدًا وارتكبت أشد أنواع

الشطط فى تفسير هذا البيت . وإلا فما معنى قولك إن أرسطو لم يكن رخيم الصوت . هل كان شوقى يمدح مغنياً حين تتعمد محاسبته على ظاهر اللفظ فى غير روية ولا أناة أم كان شوقى يمدح فيلسوفاً استعمل فى الثناء على رسائله الأدبية من الاستعارة والمجاز ما يبرز لك ذلك المعنى الرائع من خياله المجنح فى أبرز وأجمل صورة من صور البيان العربى . وقديماً قال الشاعر : ( فإنك ماء الورد إن ذهب الورد ) . ثم يمضى الدكتور طه فى جولة من جولاته النقدية المبنية على أصول النقاش العلمى بعيداً كل البعد عن روح النقاش الأدبى . ويلفت نظرنا آخر الأمر إلى هذه الأبيات :

وسريت من شعب الألـ ب به إلى وادى الصريم
فتجاور اللغتان فى الـ غايات فى الحب الصميم
لغة من الإغريق قِمَّـ ـتَهُ وأخرى من تميم

فإذا الدكتور يقول : ( ألاحظ قبل كل شىء أنى لو كنت مكان شوقى لما ذكرت الألب بعد أن زعمت أن أرسطو كان على نهج المسيح وفى رشد الكليم . . فالألب مستقر الوثنية . وألاحظ بعد هذا أن القافية قد عبثت بهذه الأبيات عبثاً غير قليل . فما وادى الصريم هذا وما صلة لطفى السيد بوادى الصريم هذا ، وهو إنما نقل أرسطو إلى وادى النيل . وماشأن تميم؟ وهل من الحق أن اللغة التى ترجم الكتاب إليها هى لغة تميم وهل نعرف لغة تميم حقًّا .

هل هذا نقد ؟ اللهم لا — أجل إن النقد الفنى لا يخضع ولن يخضع لهذه المقاييس الجامدة التى استعملها الدكتور طه . وهو عميد الأدب العربى . وأنا أحب أن أسأل : هل كان شوقى يقصد هذه الألفاظ لظواهرها الذاتية ومدلولاتها الحرفية ، بمعنى هل كان يقصد بالألب ناحيته الدينية ، وهل كان يقصد بوادى الصريم هذا الوادى بالذات ، وهل كان يقصد بكلمة ( تميم ) هذه

القبيلة العربية المعروفة أم هو استعمل هذه الأعلام رموزاً وإيحاءات للمعانى الشعرية التى تكمن وراءها والتى وثبت بها عبقرية شوقى إلى أسمى مجالات التصوير الفنى والأداء الخلاب . المهم إن هذا نقد جائر لا يعترف به الأدب ولا تقره الأصول الفنية . . وبنفس هذه المسطرة والبركار نقد الدكتور طه قصيدتى حافظ ونسيم اللتين سنتحدث عنهما فى الفصل الآتى .

## (٢)
## طه حسين والشعراء
### شوقى ـ حافظ ـ نسيم

ثم يستأنف الدكتور طه دراسته ونقده لقصيدة حافظ فيقول : ( ولندع قصيدة شوقى إلى قصيدة حافظ . ولكن موقفنا مع حافظ أشد حرجا ومشقة من موقفنا مع شــوقى ذلك لأن حافظ زعم شيئاً ونحن نزعم شيئاً آخراً : يزعم حافظ أنه قرأ كتاب الأخلاق لأرسطاليس فيقول :

إنى قَرَأْتُ كتابه بين الخشوع والاعتبار
فإذا المؤلف ماثل جنب المترجم فى إطار
وعليهما نور يفيض من المهـــابة والوقار

يقول طه : كلا يا حافظ لم تقرأ الكتاب ولم تتجاوز مقدمة الأستاذ لطفى السيد ولم تر المؤلف والمترجم ماثلين فى إطار. وإنما تخيلتهما كذلك، وأنزل شعرك عليهما هذا النور الذى ذكرته . وأنا زعيم أنك لن تجادل ولن تمارى فيما أقول . فلو أنك قرأت الكتاب حقًا ورأيت الفيلسوفين فى هذا الإطار يفيض عليهما هذا النور لقلت فيهما كلاماً غير هذا وهل تريد بأن تقنعنى بأن شاعراً مثلك مجيداً غنياً خصب الخيــال يستطيع أن يقرأ كتاباً ككتاب أرسطو ويتفهمه دون أن يوحى إليه الشعر آية من آيات البيان فى وصف هذا العقل الذى لم تعرف الإنسانية مثله بعد. كلا أنت كشوقى لا تعرف أرسطاطاليس ولم تقرأ ترجمة الأستاذ لطفى ولكنك أحق بالرضا . وأقل تعــرضاً للعتب من شوقى . ذلك لأنك ذهبت مذهب أرسطاطاليس فلم تلتمس ماليس فى يدك . ولم تتجاوز الأفق الذى أنت فيه. ثم يقول : ولكن حدثنى عن هذا البيت :

بكتاب أرسطاطاليس تاج نوادر الفلك المدار

ألم يثقل عليك ؟ أتحب هذه الإضافات وما معنى نوادر الفلك المدار .

وما معنى تاج هذه النوادر . وما معنى أن يكون أرسطاطاليس تاجاً لهذه النوادر . أعترف أنى لا أفهم شيئاً إلا أنك سلكت هذه الطريقة الطويلة لتصل إلى لفظ (المدار) فتظفر بقافية وتخسر فى القصيدة بيتاً كنت تستطيع أن تزهد فيه ...

وأنا أقول إن كلام الدكتور طه حسين هذا ليس نقداً فنياً للشعر ولكنه لون من ألوان التمحل وتسقط العثرات . وإلا فإن بيت حافظ هذا صحيح مبنى ومعنى ولا تشوبه أى شائبة من شوائب العيوب الفنية التى يعاب بها الشعر ، وهل يضير الشاعر البحث عن القافية . إن القافية إذا جاءت فى مكانها بدون استكراه ولا تعمل ولا تكلف . فهذا هو الشعر وإلا فلا .

ثم يقول طه : وكذلك استعبدتك القافية فى قولك :

تزن الكلام كأنه ماس بميزان التجار

فما ميزان التجار ؟ وما الحاجة إليه إلا أنه قافية ؟ . وأنا أقول: وما هذا النقد وما الحاجة إليه إلا أنه تمطيط للكلام وحَشْوٌ لا فائدة فيه .

ثم يقول طه حسين : ولكنى أثنى فى غير تحفظ على هذه الأبيات الجيدة حقًا الصادقة حقًا :

قالوا لقد هجر السياسة وانزوى فى عقــر دار
ترك المجــال لغيره ورأى النجاة مع الفرار
لا تظلموا رب النهى وحذار من خطل . حذار
هجر السياسة للسياسة لا لنـوم أو قرار
لو أنهم علموا الذى يبنى لهم خلف الستار

وإن كنت أجد شيئاً من الابتذال فى قوله : ( ترك المجال لغيره ) وأشعر بأن لفظ ( مع ) شديد القلق فى هذا الشطر ( ورأى النجاة مع الفرار ) . وهلا قال ( ورأى الركون إلى الفرار ) . وأشهد أن هذا نقد فنى صحيح ؛ فإن الابتذال واضح . فى قول حافظ ( ترك المجال لغيره ) . فهذه جملة مبتذلة بكثرة

الاستعمال وهى أشبه بالكلام العادى العامى . وكذلك ( مع ) التى جاءت فى الشطر ( ورأى النجاة مع الفرار ) . فهى قلقة كما يقول الدكتور وغير مستقرة فى موضعها . وكان أحسن من ذلك لو قال ، كما قال الدكتور ، (ورأى الركون إلى الفرار ) . .

ثم يقول الدكتور : وهل يأذن لى حافظ فى ألا أحب ( لقم الطريق ) فى قوله :

واجعل على لقم الطريق صوًى تلوح لكل سار

وقد يكون اللفظ صحيحاً . ولكن ليس كل صحيح جيداً ملائماً للغة الشعر . وأكبر ظنى أننا مدينون بهذا البيت كله للفظ ( سار ) فهو قافية والسرى لا يستتبع الصوى والأعلام . والصوى والأعلام تستتبع الطريق ولكنها لا تستتبع ( لقم الطريق ) .

والحق أن هذا النقد يتوافر فيه كثير من عناصر الذوق الفنى والإحساس الأدبى عند طه حسين ، ومهما يكن فيه من تمحل فإنه مقبول .

ثم يستعرض طه حسين قصيدة الشاعر نسيم : ثالث الثلاثة فيستهل ذلك بقوله : و ( لكنى متهم حين أعرض لنسيم . فقد تفضل بالثناء علىّ وأشار إلى أن لى نثراً يعجبه، على أنى سأكون حرًّا وسأغضب نسيما كما أغضبت صاحبيه. فهو مثلهما ينتظر من كتاب الأخلاق ما ينتظران وما لم ينتظر أرسطا طاليس ولا لطفى . وكما أن شوقى قد أخطأ حين قارن بين أرسطا طاليس والمسيح فقد أخطأ نسيم حين ذكر (هوميروس) على أنه من شعراء المدح. وحين تمنى أن يوفق لمدح لطفى شاعر كهيموروس . فما كان هوميروس مادحاً ولا هو من أصحاب المديح ، وإنما هوميروس وأصحابه أهل قصص وإشادة بذكر الأبطال الذين انقضت عصورهم. فأما صاحب المدح من شعراء اليونان فهو ( بسندار ) وتلاميذه وشعراء الإسكندرية خاصة ( لمياك ) و ( تيوكريت ) وغيرهما .

وقد لا تخلو قصيدة نسيم من ملاحظات لفظية وتكلف فى شأن القافية . ولكنى أعترف — لا لأن نسيماً ذكرنى — بأن قصيدة نسيم أقل تكلفاً من قصيدتى صاحبيه. بل أعترف بشىء آخر أجل من هذا خطراً، أعترف بأن فى قصيدة نسيم شيئاً من الخفة لم يوفق له شوقى ولا حافظ . وانظر إلى مطلع قصيدته :

شعر يزف بلا نسيب وبلا شكاة من حبيب

ما عيب مرقصة خلت من ذكر غانية لعوب

فى هذا الكلام — على أنه عادى — شىء من الظرف والعذوبة . وفى قصيدة نسيم شىء آخر وهو أن شخصيته ظاهرة مؤلمة مؤثرة؛ فهو لم ينس ابنه الذى فقده ولم يكره وهو شاعر أن يتحدث بحزنه وبثه إلى ممدوحه وهو فيلسوف. وأحسب أن الأستاذ لطفى تأثر بهذه الأبيات من قصيدة نسيم أكثر مما تأثر بمدح نسيم وصاحبيه . فأنا أعرفه حساساً رقيق النفس .

## حسن عبد الله القرشى

## ( فى موكب الذكريات )

إن الشباب حجة التصابى  روائح الجنة فى الشبـــاب

أجل إن روائح الجنة فى الشباب الغض والصبا الريان . ولقد وقف شيخ الأدب العربى ( أبو بحر عمرو الجاحظ ) طويلا عند هذه الكلمة الملهمة والتعبير الموحى وطرب أيما طرب للمعنى الكبير فى هذا اللفظ القصير . وها أنا أقف أمام إضمامة من أضاميم شعر الشباب السعودى الحديث فأستنشق من خلالها وثناياها أنفاس روح شفافة وروائح قلب رنان . وتنقلنى هذه الوقفة إلى ذكرى من ذكريات الحياة الأدبية العذبة تعرفت خلالها بالزميل الشاعر (حسن قرشى) وقد بدا من وراء قامته النحيلة وسمته الرصين ونظراته الصافية صورة نموذجية للشاعر الحالم والأديب الفنان . .

أجل تذكرت هذه اللحظة وديوان موكب الذكريات تفعمنى أنفاسه الشذية بنفحات من عبير ( الوحى ) ونسمات من أريج ( ابن أبى ربيعة ) أقبلت مع الأستاذ الكبير ( أحمد حسن الزيات ) فى تقريظه لهذا الديوان ( فى موكب الذكريات نفحات من الحجاز ولمحات من قريش ونفحات من ابن أبى ربيعة وإن فى أولئك كله الدليل على أن مشارق النور لا تزال تهدى ومنازل الوحى لا تزال تلهم ) .

طبع هذا الديوان فى مطبعة الرسالة طبعاً فنيًّا حديثاً ؛ فالغلاف ترتسم عليه صورة رمزية زاهية تموج بالطرب وترف بالصبوة ، والورق ناصع صقيل والقصائد موشحة بالرسوم الفنية الحديثة التى تفسر القصد وتشرح المعنى . وتومى إلى الجو النفسى للشاعر والشعر . وهو على الجملة متعة الفكر وفتنة النظر .

ونحن لهذا كله نود أن نشرك القراء فيما ضم هذا الديوان من نغم ساحر

ولحن شرود . فلنستمع إلى القرشى فى قصيدة ( قبس من الهجرة ) :

صفق الوجد فى الفؤاد وغنى وتجلى الحنين فى النفس لحنا
إيه يا ذكريات من أين ضاءت صور منك تترك الروح مضنى
تبعث الماضى المجيد لعينى صفحات تشع نوراً وحسنا
هو ماض من البطولات قد صيغ وشيدت به المكارم حصنا
هو ماض يفوح عطراً ويسمو نغما أطرب المسامع فنّا
غمر الكون بالجمال وبالبشر وبالحق مستفيضاً أغنا
يا لدنيا تموج فيه ومعنى خلدته الأجيال قرناً فقرنا

استهلال بديع وألفاظ مختارة وتراكيب مسبوكة فيها من القديم جزالته ومن الحديث سلاسته . وحسبنا أن نقف عند هذا البيت :

غمر الكون بالجمال وبالبشر وبالحق مستفيضاً أغنا

ونتأمل ما تصوره كلمة ( أغن ) من معان سامية وصور رفافة وجمال أخاذ ؛ إذ رب كلمة تأتى فى ختام بيت من الشعر فتكسبه من الروعة والجلال ما يطغى على كل أبيات القصيدة . وهل كان ( الحق ) لقافلة الإنسانية المعذبة إلا واحة غناء تفىء إلى ظلالها الوارفة أرواح المجاهدين فى سبيل الخير والعدل والجمال وتعب من نبعها الصافى قلوب الظامئين إلى نمير الحب والسعادة والسلام بعد جهاد مرير وسير حثيث فى هواجر الباطل ورمضاء الضلال . ومن أجرى بقيادة هذه القافلة الإنسانية إلى ذلك الظل الظليل والنبع النمير من ( محمد ابن عبد الله ) صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه الشاعر :

ياعميد التوحيد ما أنت إلا كوكب يملأ الفيافى أمنا
قد تبرأت من ذحول ومن حقد وأشربت حب ربك فاهنا
أنت صبح أطل من سدة الحق وهيهات يرهب الصبح دجنا
أنت أنشودة ترتلها الروح على هديها الأضالع تحنى

نعم أيها الشاعر المبدع إنه لأنشودة خالدة ما زال صداها الإنسانى يهتف بالأرواح الظماء والقلوب اللاغبة أن هلموا إلى موارد الهدى وواحات الإيمان. وتمضى القصيدة فى هـــذا النغم المنسجم والتسلسل الرقيق تتحدث عما أحاط بالهجرة المباركة من مكائد الشرك ومكر الباطل وجنون الضلال حتى تصل إلى استئناف الرحلة بعد خفوت الطلب وخيبة الطلاب فينبعث لحن الأمـــل الظافر منطلقاً فى ظل الموكب الميمون :

وسرى الصاحبان بالأمل البسام تحدوهما المفاخر مجنى

ولست أدرى ما الذى حبب إلى الشاعر كلمة ( مجنى ) لأن صلة القرابة بينها وبين ( الحداء ) بعيدة جداً ، ولا وجه للشبه بينهما . ولقد كانت كلمة ( لحنا ) فى هذا الموضع لو وضعها الشاعر أليق وألصـــق بالبيت لفظاً ومعنى . ولـكنها القافية ، وكم لها من عثرات أمام التدفق الشعرى انثنت قواه وتزعزع ما بناه .

وبعد فقد تمثلت فى مستهل حديثى هذا ببيت الشاعر أبى العتاهية وطربت له كما طرب ( الجاحظ ) ( روائح الجنة فى الشباب ) . وهذا دليل على أن الشعر الحى والأدب الرفيع يهزأ بالزمان والمـكان ويتخطى الحدود والقيـــود ليقف دوماً موقف المتحدى لـكل من ينسب إلى القديم فتوراً فى العاطفة أو جموداً فى التعبير . فهذه كلمة من كلمات الشعر العربى القديم تنطلق من وراء ألف ومائتى عام محتفظة بلألائها اللامع وحرارتها المشبوبة ،فما يزيدها القدم إلا جدة وجلالًا . وها نحن الآن نفتتح بها حديثاً من أحاديث الشعر الفاتن والعواطف الهيمانة والفن الحساس. فشاعرنا ( شاب ) وإن الله ليعجب لشاب لاصبوة له كما جاء فى الأثر . وديوان القرشى يتضوع بروائح الجمال الخلاب والحب الرقيق. فلنهز القيثارة مرة أخرى لنستمع إلى رنات وتر من أوتار الوجدان فى قصيدة نجوى :

أيقظيني فقد جهلت مكانى ‏ ‏ ‏ ‏ واغمرى خاطرى بعطر الأمانى

نضرى بالجمال عمرى وبالإشراق فجرى وبالحنين كيانى

واسكبى فى مسامع النفس نجوى ‏ ‏ ‏ ‏ عذبة السحر ثرة بالمعانى

أنا فى ضجة الحياة غريب ‏ ‏ ‏ ‏ خافت الجرس فى صحارى الزمان

وكم مثلك يا أستاذ غريب فى تلك الصحارى :

مستطار الجنان مرتعش الخطو ‏ ‏ ‏ ‏ صريع الهموم دامى الجنان

مع أن تكرار كلمة الجنان فى أول البيت وآخره لم تكسب البيت أية طرافة .

رنحتنى صروف عيشى حتى ‏ ‏ ‏ ‏ عفت عيشى مرنقاً بالهوان

وشجتنى رؤى الضغائن حتى ‏ ‏ ‏ ‏ ضاق ذرعى بكل خل مدان

لا تنثنى على أسطورة الماضى ‏ ‏ ‏ ‏ وهاتى خوالج الوجدان

قصة الغابر ارتوت من جنى الكاس فلا تهرقى بقايا الدنان

وانظر إلى الترف الموسيقى والنعومة الفنية التى يتموج بها هذا البيت الخضيل :

نضرى بالجمال عمرى وبالإشراق فجرى وبالحنين كيانى

وقل له بأى صورة من صور التحليل تستطيع أن توفى هذا البيت حقه الكامل من الشرح والتعبير والاستحسان ؛ لأن كل كلمة من كلماته اختيرت اختياراً دقيقاً ونسقت تنسيقاً بارعاً حتى جاء كالسبيكة الذهبية لمعاناً وإشراقاً . وبين كل صفحة وأخرى يطالعك الديوان بباقة من باقاته الزاهرة تنضح بالسحر وتتألق بالفنون . وأظهر ما يكون ذلك فى القطع الوجدانية ؛ لأن شاعرنا من شعراء الذاتية ( الرومانتيكية ) الذين يحسنون التعبير عن تجاربهم العاطفية بصدق وحرارة وإخلاص تتجلى فى مثل هذه القطعة المعنونة ( منديل ) الذى يقول منها :

إذا لفنى ليل الشجون المعربد | به العبق السارى الذى يستخفنى
وألوان سحر فيك تبدعه اليد | وفيــــه معان من مزاياك جمة
يساور غصانا نأى عنه مورد | فرحى بمن أهدته كالأمل الذى

وقصيدة ( أشواق ) و ( عتاب على النيـــل ) و ( موكب الذكريات ) التى تسمى بها الديوان . وفى موكب هذه الرؤى والأصداء الوجدانية تتلامح أشعة من وهج الإحساس القومى بقضايا العروبة وكفاحها تجـــــد أصداءها فى قصيدة إلى ( النيل الخالد ) و ( شهيد العروبة ) و( الشهيد ) .

ويطيب لنا أن نختم هذا الحديث بأغرودة من أغاريد الربيع فى قصيدة ( الربيع ) شاعر الطبيعة وفنانها :

شاعر ينظم الدرر | شائق اللحن والفكر
مستهام مرفرف | للأمانى مُبْتَكِر
طى أعطافه البشائر | رقاقة الصـــور
فى ابتساماته البشا | شات والحب والظفر
وبأنفاسه حنين إلى | غابر عطـــــر
يلثم الغيد فى الخدور | ولا يرهب الغـــــير

وهكذا يلتقى الشاعران ( الربيع الفنان ) و ( القرشى الفنان ) وتمتزج روحاهما الصافية امتزاج الراح والقراح ونستمتع نحن القراء بنشوة من نشوات الفكر ومتعة من متع الوجدان .

## ( شموع ) ديوان شعر إبراهيم العُرَيِّض
### منشورات دار العلم للملايين

القصة فى الشعر العربى الحديث :

فرض على رئيس تحرير مجلة ( الأضواء ) أن تكون تحيتى المجلة مقالًا أدبيا لأنه ـ على حد تعبيره ـ لا يقنع منى بكلمة تحية أو توجيه ، وانتقل ذهنى فجأة عند ما تلوت هذه العبارة الرصينة إلى صور شتى من ألوان الثناء السابغ والإطراء الفضفاض اللذين تحظى بهما بعض مجلاتنا أو صحفنا الأدبية فى مستهل حياتها وباكورة ثمرتها . فتبرز إلى وجود القارئ فى حلل زاهية من العواطف والآمال ثم لا تمضى فترة قصيرة حتى تصوح الزهرة وتذبل الثمرة وتدخل المجلة أو الصحيفة فى دور التلاشي ومرحلة الانكماش . وهى لما تنس بعد أضواء الحفلة وأصداء التصفيق ، فهل كان الأستاذ رئيس تحرير هذه المجلة عندما كتب إلىّ ما كتب يحس بخواطر من هذا القبيل وخوالج من هذا الشعور . إن كان ذلك كذلك فقد استبرأ لفنه وأدبه . وإن كنت أرجو مخلصا أن تستمر الأضواء فى إشعاعاتها الفكرية قوية السطوع ولها من كل قلم زيت ومن كل فكر ( شموع ) .

وبعد فلعل من ألطف المناسبات أن نستهل حديثنا الأدبى فى مجلة الأضواء عن شمعة من شموع الشعر هو ديوان الشاعر الكبير (إبراهيم العريض) ـ المسمى (شموع) وإبراهيم العريض غنى عن التعريف ، فهو علم من أعلام الشعر المعاصر ورائد من رواده . وهو لم يتنكر للقديم لأنه قديم ولم يتشيع للجديد لأنه جديد . ولكنه اتخذ لفنه طريقا لاحباً وأفقاً شفافاً يجمع بين ديباجة الشعر ( الكلاسيكى ) متانة وجزالة والشعر ( الرمانتيكى ) تصوراً وخيالًا . وقد استطاع بتلك الطريقة الفذة أن يقف بقدميه القويتين ويحلق بجناحيه الضافيين على أرفع ذروة من ذروات الشعر العربى مرفوع الرأس طائر الصيت . وقد

كان مما يتهم به الشعر العربى خلوه من عنصر القصة، وهى فن من فنون الأدب الإنسانى الخالد الذى يعبر عن سرائر الحياة ومكنونات النفس. وديوان (شموع) وثيقة أدبية كبرى على صلاحية وطواعية الشعر العربى لكل فن من فنون القول وكل عنصر من عناصر الأدب: فقد اشتمل هذا الديوان على أكثر من تسع (قصص) شعرية منتزعة من صميم الحياة وأعماق المجتمع. وتبرز بين هذه المجموعة الشعرية قصيدة (أنا الماضى). قمة شامخة تتكسر على جوانبها المشعة أضواء الأصالة الفنية والذوق المرهف والشعور الصادق والخيال الفسيح ولله در العريض حين يقول:

في الريف حيث تفسر الغدران أحلام الجبال
فتحس بين خريرها روح الطبيعة فى ابتهال
وكأنما الليل الطويل بموكب الزهر الغوالى
يروى إلى الآفاق قصة عالم وشك اكتمال
ويكاد يهمس للدجنـــة كل نجم بالتقالى
نحن الحقيقة ما لجلوتنا حـــدود كالخيال
ويقطر القمرى عنـــد الفجر من خمر الليال
حتى إذا شرعت بحاجبها تطـــل من التلال
ألفيت كل فراشة عـــذراء تجنح للوصال
وكأنما وزن الصداق لها بحبات اللآلى
فإذا الطبيعة حفلة للعرس تفتن من رآها

هذه هى بيئة القصة أو أرضية الحدث كما يعبر المجددون، وهى كما ترى قلادة من التعبير المشرق والوصف البديع والأداء الواضح، جمعت فى هذا السلك المتين من استقامة الوزن وجمال الموسيقى فى ألفاظ مألوفة على السمع قريبة من الفهم لا يكتنفها غموض الشطحات ولا ضبابية الإبهام ولا تزايدات المبالغة. وأى إبداع

باهر وتخيل أصيل تحسه فى هذين البيتين :

فى الريف حيث تفسر الغدران أحلام الجبال

فتحس بين خريرها روح الطبيعة فى ابتهال

وأنت تتصور خرير المياه بين تلافيف الجبال ومنعرجات الوديان فى هدوء الليل الحالم وسكون الطبيعة النائمة كأنها روح المتبتل تجأر بحـــرارة الابتهال الاستغفار . والسكون من وراء كل ذلك يردد أصداء تلك الروح فى سكون وخشوع . كل هذه المعانى العميقة تصورها لك كلمة ( ابتهال ) .

وبعد هذه القطعة النابضة بالحياة والحركة يقـــدم لنا الشاعر بطلة قصته الرائعة فيقول :

كانت تعيش بسمعها عذراء تنتظر الإثاره

فى يقظة كالحلم من عهد طوته على الطهاره

فقدت أباها فى الطفولة سيدا يحمى ذماره

مكنونة فى دلها القروى عن صقل الحضاره

كالدر غلفه القذى عن إلفه وسط المحاره

كم جاء بالتحف الثمينة عمها من كل قاره

إذ كان يرحل ـ لا كوالدها المزارع ـ فى التجاره

فتقبلتها بالسرور وقبلتـــــه للبشاره

إن المضيرة بين كفيها ترجرج فى الغضاره

ما أبرك العبد الذى فى قربه تقضى نهاره

والعم يرعى يتمها عهـــداً يبر به أباها

إنها فتاة من فتيات الريف الوادع تعيش فى كنف عمها التـــاجر عيشة البساطة البريئة والفطرة الطاهرة لم تلوث طباعها القروية الصافية أقذار الحضارة وأوضارها . وهى لما تزل شمعة من شموع البـــداوة تشع الفنية وتتألق بالسحر

وتنتقل كالفراشة بين أزهار الشيح وأعشاب القيصوم ، مرآتها الغدير وأتانها الغزلان :

خرجت تخايل ذات يوم بين أحضان الطبيعه
فى بلقع بنكاته كالليل إذ يورى شموعه
والعالم الإنسى يشهد فى مفاتنها ربيعه
والطير ينشدها كما تهوى أغانيه البديعه
والعشب يثنى ركبتيه حيالها ليرى خضوعه
والزهر يومئ نحوها فتميل شاكرة صنيعه
والماء يلقط كلما ظهرت له صور سريعه
مستجلياً فى وضع فتنة تحنى ضلوعه
فتطيل من تسريح مرسل شعرها فوق الشريعه
لكأنما هى تجتلى فى العين مرآة بديعه
فإذا بها فى الماء تبصر وجه إنسان سواها

وقبل أن أبدى إعجابى بهذه القطعة أود أن أدون ملاحظة فنية على خرزة من خرزات الودع تعترض نسق هذه الجواهر الكريمة تلك الخرزة هى قول الشاعر :

والعشب يثنى ركبتيه حيالها ليرى خضوعه

فإن استعارة الركب للعشب استعارة بعيدة ومتكلفة وغير متسقة مع رقة العشب ونعومته وجمال منظره . وكنت أود لو كان هذا البيت هكذا :

والعشب يغضى ناظريه حيالها ليرى خضوعه

فإنه أقرب إلى جمال التشبيه ودقة الوصف وطرافة المعنى. أما بقية الأبيات فهى أنغام مؤلفة من صدق الشعور ووهج الإحساس تغرى بالترنم وتوحى بالغناء. وأى إعجاب لا يقف خاشعاً أمام هذه الصورة الشعرية الخلابة فى هذا البيت الفنى البديع :

والماء يلقط كلما ظهرت له صوراً سريعه

إنه وثبة من وثبات الخيال وإشراقة من إشعاعات الإلهام، جاءت فى هذه الألفاظ الناصعة بصدق الدلالة وواقعية التعبير، كأنما هى صورة حية انعكست على ذهن الشاعر انعكاساً تلقائياً بدون أداة من أدوات النقل أو آلة من آلات التمثيل . وسر الروعة فى هذا البيت تكمن فى كلمتى ( صوراً سريعه ) لما بين هاتين الكلمتين من امتزاج موائم لحركة اللقط بالإضافة إلى معنى السرعة . ثم يأتى بعد هذا البيت بيت آخر يكمل الصورة ويوشحها بالظلال والأضواء حين يقول :

مستجلياً فى كل وضع فتنة تحنى ضلوعه

وتأمل ما يحمله من معان وصور كلمة ( تحنى ضلوعه ) . وصور لنفسك غديراً رقراقا ترتعش النسائم على صفحته الفضية، وقد وقفت أمامه عذراء تستجلى مفاتنها الخلابة فى أوضاع مغرية تحنى الضلوع وتصهر الأكباد ثم تنذعر الفتاة فجأة وقد رأت ذلك الوجه الإنسانى يبدو من ورائها مفتوناً بالسحر مأخوذاً بالجمال :

ما رابها إلا فتى يبــــدو غريباً فى المكان
يرنو إليهـــا فى مفاتنها بخبث وافتتــــان
هى وحدها هو وحده والطير تصــــدح بالأغانى
فتحس وخزاً بين نهديهــــا وتجهل ما تعانى
وتراه يهتف باسمها وإذا به عذب اللســـان
فكأن جمراً بات يلذع وجنتيهــــا وهو دانى
قالت له : خل الطريق فإن شأنك غير شانى
قد عذت بالرحمن منك وأوغلت وسط الجنان

وإذا به كالظل يتبعها وأومأ بالبنـــــان :
لا تعجلى إنى ابن عمك قد نـكرتنى إشتباها

واعجب لـكلمة ( وخز ) فى هذا البيت الرابع ( وخزاً بين نهديها وتجهل ما تمانى ) ففى هذه الـكلمة غنى وثروة ترتنع بالذوق الفنى إلى أسمى مراتب النشوة والانجذاب . وهكذا يمضى الشاعر فى نغمه الصافى وأصدوحته الساحرة وتعابيره الموجمة فى قوة وإشراق وسخاء . وتنتهى القصة بانتصار الفضيلة على الرذيلة ، وتفوق الخير على الشر واندحار المدنية الزائفة أمام مناعة الريف الأصيل ، وتنتصب تلك الشمعة بأضوائها اللماحة ترسل أشعتها الهادئة فى آفاق الحب الطاهر والوفاء النبيل .

من شعـــراء المهجر :

## إيليا أبو ماضى

( كتبت بمناسبة وفاته )

صمت بلبل ( الخمائل ) . وغاض ينبوع ( الجداول ) وانفض السامر وغاب ( السمير ) ومات إيليا أبو ماضى ، كما تموت الفراشة ، محترقاً بالنور مضمخاً بالعبير . وصعدت روحه إلى سمائها وعلى ثغره ابتسامة راضية وإشراقة صافية وانطلق شاعر الابتسام وصداح البهجة يرفرف بجناحيه الضافيين مع أسراب الفن المحلق والشعراء الخالدين بعد أن ترك فى الدنيا دوياً عالياً وصدًى بعيداً محققا بذلك ما نطقت به شاعريته الملهمة ولسانه الفصيح :

أنا لا أهـــدى إليكم ورقًا     غـــيركم يرضى بحـــبر وورق
إنما أهدى إلى أرواحكم     فكراً تبقى إذا الطرس احترق

أجل . مات إيليا أبو ماضى فانقطع من مزهر الشعر العربى الأصيل وتر رنان طالما شنف المسامع وأطرب القلوب بألحانه الرقيقـــة ومعانيه الرشيقة وعواطفه الإنسانية وخلجاته الوجدانية . فيا لجيعة الأدب ويا لوعة الشعر .
يقول الأستاذ ( محمد عبد الغنى حسن ) فى كتابه شعراء المهجر : هناك فى قرية ( المحيدثة ) من أعمال لبنان كانت الدنيا تتطلع لتستقبل مولد شاعر كتب له أن يسمع العالم الجديد أصواتاً صافية من العالم القديم . وكان ذلك سنة ١٨٨٩م وهى السنة التى حملت إلى العالم نبأ هذا النجم الذى لم يكن أحد ليدرى أنه سيحتل مكان الزعامة فى شعر المهجر . وقد أسلس الشعر له وهو على أبواب البلوغ ولم يكن يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى هاجر إلى مصر سنة ١٩٠٠ م ، فما وافت سنه العشرين حتى كان يحرر فى بعض الصحف والمجلات بمصر إلى أن جاءت سنة ١٩١١ م فتحركت فيه نوازع الهجرة إلى العالم الجديد فقصـــد الولايات المتحدة

تغرب لا مستعظمًا غير نفسه　　ولا قابلًا إلا لخالقه حكما

ومن وراء المحيطات وعبر آفاق الأقيانوس أرسل أبو ماضى نغماته الشعرية الصافية ونفثاته الفكرية العالية المنبثقة من نفسه الضحوك وأعماق روحه المرحة وينابيع إنسانيته الشفافة مبتسماً للدنيا وهى عابسة مبتهجًا للحياة وهى واجمة منتزعًا من الكون القاتم والوجود الغائم أسعد مشاعر الرضى وأرق عواطف السرور :

قال : السماء كئيبة وتجهما　　قلت : ابتسم يكفى التجهم فى السما

قال: الصبا ولى. فقلت له : ابتسم　　لن يرجع الأسفُ الصبا المتصرما

قال : التى كانت سمائى فى الهوى　　صارت لنفسى فى الغرام جهنما

خانت عهودى بعد ما ملكتها　　قلبى ؛ فكيف أطيق أن أتبسما

قلت : ابتسم واطرب فلو قارنتها　　قضيت عمرك كله متألما

قال: العدى حولى علت صيحاتهم　　أأسر والأعداء حولى فى الحمى

قلت : ابتسم لم يطلبوك بذمهم　　لو لم تكن منهم أجل وأعظما

بهذه الروح المتفائلة وبهذا الشعور الراضى واجه هذا الشاعر الحياة وعاشها يبشر بالحب ويهتف بالسلام ساخراً بالبغضاء هازئًا بالإساءة ، وما زال يردد ويؤكد هذا المعنى فى كثير من قصائده العاطفية ، ومنها :

كن بلسماً إن كان دهرك أرْقما　　وحلاوة إن صار غيْرُك علقما

إن الحياة حبتك كل كنوزِها　　لا تبخلن على الحياة ببعض ما

أحسن وإن لم تجز حتى بالثنا　　أى الجزاء الغيث يبغى إن همَىَ

من ذا يكافئ زهرة فواحةً　　أو من يثيب البلبل المترنما

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا　　لولا شعور الناس كانوا كالدمى

وعلى هذا الوتر الإنسانى الرنان وقع الشاعر العبقرى أبدع ألحانه وأرق أغانيه جذلان ومحزوناً وسالياً ومفتوناً . وبالرغم مما يمتاز به أسلوب هذا

الشاعر من صفاء اللفظ وطلاوة التعبير وصحة المعنى وإشراق الديباجة وطرافة المواضيع . وبالرغم عن احتفاظه بسلامة الأوزان العربية وتقيده بالقيود الفنية ، أقول بالرغم عن كل ذلك فقد تعرض فى حياته الأدبية لأقسى نقد من أكبر صيارفة الأدب فى العصر الحديث وهو الدكتور طه حسين الذى كتب عنه فى كتابه ( حديث الأربعاء ) فصلا ضافيا مشحونا بالقسوة مفعماً بالحيف ناعياً عليه ضآلة أثر جمال الطبيعة اللبنانى فى شعره ومخالفاً أولئك الأدباء الذين لاحظوا أنه أصفى الشعراء والكتاب السوريين المهاجرين إلى أمريكا لغة . ويخيل إليهم أن إقامته بمصر هى مصدر هذا الصفاء . أما هو ، أى طه حسين ، فيأسف أشد الأسف لاضطراره إلى أن يلاحظ أن صفاء لغته هذا الذى أعجب ( لمغمير ) وزميله الأستاذ طه الحميرى لا يخلو من شىء كثير يفسده ويباعد بينه وبين ما ألفه من صفاء اللغة ونقائها عند الكتاب والشعراء الذين ينشأون ويعيشون فى مصر ولبنان . وليس يزعم أن لغة الشاعر رديئة ولكنها تقارب الرداءة أحيانا حتى توشك أن توغل فيها إيغالا وليكن مصدره ما يكون ولكنه شىء واقع لا يستطيع إلا أن يلاحظه ويسجله آسفاً ؛ ذلك أن الشاعر كما يراه طه حسين مجيد حقا خصب الذهن نافذ البصيرة ذكى القلب متقد الفهم لما يريد أن يقول ، موفق إلى إجادة التصوير لما يجب أن يصوره . وكان خليقاً أن تواتيه مع هذه الخلال نغمة صافية عذبة تعينه على إظهار ما فى شعره من قوة وروعة وجمال ليس إلى الشك فيها من سبيل . ولعل الشاعر نفسه آنس هذا الضعف فى لغته ، ولعله حاول أن يصلحه فلم يستطع ، ولعله لما استيأس من هذا الإصلاح لم يجد بدًّا من أن يتخذ هذا الضعف مذهباً ومن أن يدافع عنه دفاعاً يذود عنه ذياداً فيقول فى فاتحة الديوان :

لست منى إن حسبت الـ ... شعر ألفاظا ووزنا
خالفت دربك دربى ... وانقضى ما كان منا

فانطلق عنى ائـــلا تغتنى همًّا وحزنا
واتخـــذ غيرى رفيقاً وسوى دنيــاى مغنى

فمن المحقق أن الشاعر لا يقول شيئاً فى هذا الـكلام ؛ لأن الشعر لا يستقيم ولا يوجد ولا يمـكن تصوره بغير الألفاظ والوزن . وآية ذلك أن الشـــاعر نفسه قدم لنا ديوانه هذا ألفاظاً موزونة ولم يقدم لنا كلاما منثوراً فى غير وزن وقافية الخ ما يقول الدكتور طه فى كتابه العظيم ( حديث الأربعاء ) . . ولعلك تلاحظ معى التناقض والاضطراب فيما أورده طه حيال شاعرية أبى ماضى وصفاء لغته ، وكيف أنه يعترف أنه شاعر مجيد حقًّا خصب الذهن نافذ البصيرة ، ثم يعقب على هذا الاعتراف كله بكلمة أخرى تمحو كل ذلك فيقول : إنه ضعيف فى لغته . ونحن نعجب كيف يجوز لناقد كبير أن يقول عن شاعر إنه مجيد ثم يقول إنه ضعيف اللغة ، واللغة أهم أدوات الشاعر وأبرز مميزات شاعريته . . ونحن مع الدكتور فى أننا لا يمكن أن نتصور شاعراً بغير ألفاظ ووزن ، ولـكننا نلاحظ أن الدكتور طه تجاهل عامداً المعنى المقصود فى تلك الأبيات الجميلة وتحاشى تعاشياً ملموساً عن الغرض الذى رمى إليه إيليا أبو ماضى فى أبياته تلك ؛ فقد اعتمد الدكتور أضعف نقطة فى هذه الأبيات واتخذها هدفاً لسهام نقده متمسكاً بسطحية المعنى وحرفية اللفظ وإلا فهو يفهم حق الفهم أن الشعر ليس ألفاظاً وأوزاناً . وأنت ترى بعد هذا الذى أوضحناه أننا نستطيع أن نقول – كما قال الدكتور – : إنه لم يقل شيئًا فى نقده هذا ، ولم يأت بما هو معروف عنه من لفتات قيمة وملاحظات عميقة .

وبعد ، فقد مضى إيليا أبوماضى مأسوفًا عليه ، وتلك آثاره ملء الأسماع والأبصار يعتز بها الفن الخالد ويقدرها الأدباء العالميون ، وإن العروبة التى التى تعتز بتراثها الغالى وقيمها الرفيعة لتجد فى هذا الشاعر الفحل ابناً بارًّا وجنديًّا باسلًا استطاع ، وهو المحوط بكل أسباب الفتنة ودواعى الإغراء

والمخفوف بكل ما هو أجنبي من أساليب الحياة وطرائق العيش ومناهج التفكير ، أقول : استطاع رغم كل ذلك أن يحفظ لها تراثها ويمجد آدابها ويفخر بلغتها وأساليبها في جو تغمره العجمة وتملؤه الرطانة . والعجيب بعد هذا كله أن هذا الشاعر الذي قضى زهاء خمسين عامًا في مهجره الأمريكي ، لم تتأثر سليقته الأدبية ، ولم تتأمرك لغته الفنية ، ولم تنفسخ شخصيته العربية ، ولم يتخذ من بدعة التجديد الزائفة معولا يهدم به الصروح الشامخة من أمجاد أمته العربية وتراثها السامي . وها نحن اليوم ومن صميم بعض الأقطار العربية وفي عهد الانطلاق والتحرر ومن الأدباء الذين يعيشون تحت سماء العروبة وفوق أرضها نستمع إلى دعوات هدامة ومذاهب فاسدة تعصف بالقيم وتهوى بالمثل الأدبية العليا إلى أعمق مهاوى الانحطاط وأدنى دركات الإسفاف . وممن ؟ من أبناء العربية أنفسهم الذين كان الظن بهم أن يتمسكوا بآدابهم ولغتهم تمسك الحريص على شخصيته المتميزة بسماتها وخصائصها المعتز بقوميته المستقلة بفنونها ومذاهبها . رحم الله أبا ماضي وعوض الأدب عن فقده خير العوض .

## حنين الليالى

### ديوان شعر على دُمَّر

وصل إلى يدى اتفاقا ديوان ( حنين الليالى ) للشاعر السورى المعروف ( على دمر ) من رابطة الأدب الحديث ، وهو ديوان صغير الجسم كبير الروح فى طبعة متواضعة خالية من زخارف الدعاية وتزويق الإعلان وقد قدم له الأستاذ الناقد ( محمد عبد المنعم خفاجى ) بمقدمة رحب فيها بالديوان وأثنى على صاحبه ، ووصف دمر بأنه الشاعر الوجدانى الغنائى المجيد فى أوصاف الجمال إجادته فى وصف الطبيعة والذى يجنح بشعره إلى البساطة والسهولة والطبع تاركاً التقليد والتكلف فى أحيان كثيرة. ويحتوى الديوان على أكثر من أربعين قصيدة ومقطوعة فى موضوعات شتى جمعت كما تجمع باقات الزهر ورداً إلى ياسمين إلى سوسن إلى زنبق ، لم يصنفها على أساس التنويع الموضوعى ولم يرتبها على أساس الترتيب الزمنى . وإنما قدمها بين دفتى الديوان كما تقدم الحديقة أزهارها تفوح بالعطر وتنضح بالرقة وتتألق بالجمال . وليست دواوين الشعراء فى نظرى إلا حدائق وجدانية تنبت فى قلب الشاعر نبات الزهر فى قلب الطبيعة تتنوع أصنافها وتتحد أوصافها .

و ( حنين الليالى ) ديوان متنوع الموضوعات ، يجمع بين الشعر الوصفى والغزلى والوطنى والسياسى . ولقد كانت الليالى وما تزال هيكل الشعر ومحراب الشاعر . وناهيك بليالى دمشق الجميلة فى سمائها الضحوك ونجومها الزهراء وحدائقها الغن وأنهارها الجارية ووديانها الفيح . . .

ولقد قضيت ليلة شاعرية ممتعة فى مطالعة هذا الديوان الجميل أنتقل من صفحة إلى أخرى مغموراً بأحاسيس التجاوب العاطفى ومشاعر التعاطف الفنى بينى وبين هذا الشاعر ؛ ذلك أننى لم أصدم أثناء قراءة قصائد الديوان

بأى نشاز أو شذوذ أو تنكر للقيم الفنية فى شعرنا العربى الأصيل. بل وجدت شاعراً يقف فى الصف الأول من رعيل المحافظين على تراثنا الفنى وذخائرنا الأدبية. بل وجدت ثائراً على شعراء الركاكة وأنصار الإسفاف. فلنسمع إليه فى قصيدة ( نكبة الشعر ) :

أصبح الروض للغراب مباحا　　فغدا فيه بالألوف وراحا
صار فيه شدو البلابل تنعاباً　　وعاد الغناء فيه نواحا
وادعى الشعر كل ميت إحساس　　فحاك القصيد سخفاً صراحا
هام مزجا بثيبات المعانى　　وانثنى ينشد المزيج نباحا
أتخم الصحف بالرخيص من الـ　　قول وأعلى فى كل ناد صياحا

إلى أن يقول :

رصف اللفظ لا يرى هو فيه　　أى معنى إلا حروفاً صحاحا
قال : هذا شعر جديد عميق　　ذو معان لا تقبل الإيضاحا
هو رمز للخافيات من الأو　　هام أعيا النقاد والشراحا

وأنت لو التفت إلى كل ما تسيل به بعض أنهار الصحف والمجلات العربية مما نسميه شعراً منثوراً وأخرى شعراً حرًّا وآناً شعراً مرسلاً إلى آخر هذه الأسماء الجوفاء لشعرت أعظم الشعور بصدق إحساس الشاعر ( على دمر ) تجاه هذه ( النكبة ) التى منى بها الشعر العربى فى هذا الجيل الجديد. وبعد هذه القصيدة المتفجرة بالثورة واللهب تطالعك قصيدة عنوانها ( بنت البلد ) وللشاعر التفاتات وجدانية عميقة لكل صورة من صور الحياة ولون من ألوانها. وقد كانت الموسيقى من الصور التى تأثر بها وجدان الشاعر وانفعلت بها عواطفه، فسكب آثار تلك الانفعالات الوجدانية فى قصيدته المعنونة ( بنت البلد ). وبنت البلد هذه اسم مقطوعة موسيقية للموسيقار ( محمد عبد الوهاب ) وعند ما يقوم الشعر بوصف الموسيقى يكون الموقف كما قال المتنبى :

كالبحر يمطره السحاب وماله فضــل عليه لأنه من مائه

فلنصغ إلى قصيدة بنت البلد فى هذا النغم الرخيم :

لمواكب الأفراح فى الأكوان قد صفت هذا الجانب الإنسانى

وهو استهلال موفق ومعنى بديع . ثم ماذا ؟

لو جمعت أعراس أجيال الورى وجميع دنيـا الرقص والألحان

ما أبرزت سحراً للفتة خفقةٍ من طيفــك المتلهف الظمــآن

من عهد فرعون وعهد قصوره وطراز ليلات لديه حسـان

من عهد ماللنيل من أنس وما لشرا عـه من فرحــة الشــطآن

كنت الجمال الأسمر الموحى من الإعجاب ما لم يوحــه الهرمان

ثم يعظم إعجاب الشاعر بالمقطوعة وصاحبها الفنان فيقول من قصيدة أخرى عنوانها ( بتهوفن العرب ) تحية من فن الشعر إلى أخيه فن الموسيقى :

إيه عبد الوهاب يا نشوة الدهر وسلوى الحــــير المنـكوب

أى قلب ما كنت فيه شعاع الأنـــــس والحب يا شفـاء القلوب

أى جفن لم تهم فيه مع الدمع حنيناً لإلفــه المحجــوب

فـكأن الزمان صحراء أنت الماء فيها تجـلو غبـار الخطوب

* * *

( الحبيب المجهول ) و ( الـكرنك ) النامى على الدهر فى الضحى والأصيل

والضفاف التى رأت ( كليوباترا ) وحسـان الآهات فى الجنـدول

(والصبا والجمال) و (الهمسة الحيرى) وســحر الغنـاء والتمثيــل

كلها خــلدتك فى فنــك الخالد ياسـكرة المــنى والعقــول

على أن هذه الصورة المشرقة ممـا يحتويه هذا الديوان الأنيق لم تحجب بصيرة الشاعر الشفافة وإحساسه المرهف عما نـكبت به الأمة العربية من

استعمار وتجزؤ وتشريد ؛ فترى فى ثنايا الديوان بريقاً خاطفاً وشعوراً جارفاً من وهج العاطفة العربية والإحساس الإنسانى . فهناك قصيدة عنوانها ( اللاجئون ) تزخر بالألم الموجع والأسى العميق لما حل باللاجئ الفلسطينى من بؤس الحياة ونكد المعيشة :

وخيام اللاجئين كساها الثلج فى الليـل بردة كالفـراء
تتضاغى أطفالهم من أذى الجوع نياماً على ثرى الغـبراء
إن عوت فى الصقيع والدجى ريح اتقوها بالعرى وسط العراء
خلفوا فى ديارهم كسوة العز وباتوا فى كسـوة الغرباء
يتراءى لهم خيـال قصـور غادروها فى الجنـة الفيحاء

وبعد ، فهذا هو الشاعر ( على دمر ) فى ديوانه ( حنين الليالى ) وتلك هى الخطوط العريضة من ملامح هذا الديوان . وإنى إذ أحييه فإنما أحيى فى شعره أدب الطبع الأصيل والفن الجميل .

## ( قطر والقطريات )

### ( ديوان شعر عبد الرحمن بن قاسم المعاودة )

قطر : لؤلؤة من لآلئ الخليج العربى تقع على الشاطىء الشرقى من الجزيرة العربية وتؤلف مع أخواتها من الإمارات العربيات المنتشرة على شاطىء الخليج سوراً عربياً ضخماً يمتد على طول الشاطىء فى سلسلة متماسكة العرى قوية الحلقات وقد استخرج بها البترول عام ١٩٤٩ م من منطقة دخان ، وعاصمتها الدوحة وحاكمهـا هو عظمة الشيخ ( على بن عبد الله آل ثانى )(١) من أسرة عربية صميمة تنتسب إلى قبيلة ( تميم ) المشهورة فى التاريخين الأدبى والسياسى . ونريد قبل أن نعطر هذه الدراسة الأدبية بعبير الشاعرية الغناء والقريحة الخصاب أن نقف وقفة قصيرة عند الشعراء الذين وقفوا شعرهم وأقلامهم على تمجيد المكارم والإشادة بالبطولات وأقرب مثـل نقدمه فى هـذا المجـال ( زهير بن أبى سلمى ) مع هرم بن سنان ، وأبو الطيب المتنبى مع سيف الدولة ابن حمدان فى القديم والشيخ أحمد إبراهيم الغزاوى مع الملك ( عبد العزيز آل سعود ) فى الحديث يقول أبو تمام :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى  بناة العلا من أين تؤتى المكارم

وهذه حقيقة من حقائق الأخلاق العربية انطبعت فى ذهن هـذا الشاعر الملهم فكانت مثلًا شروداً فى الندى والبأس. لذلك قالوا الشعر ديوان العرب لأنه سجل فضائلهم وأخلاقهم ومناقبهم ومآثرهم ، يسجلها من حيث هى أخلاق يمارسها فى عفوية وانطلاق غير محدودين إلا بالحدود المثالية التى يرسمها المجتمع لنفسه وينتزعها من صميم تقاليده وعاداته . وما هذه الخلال التى سنها الشعر إلا النتيجة الطبيعية لما تواضع عليه المجتمع العربى من ذخائر وعبقريات فى القيم

(١) كتب هذا المقال فى عهد سمو الشيخ ( على بن عبدالله آل ثانى ) ونشر فى المنهل لعام ١٣٧٦ هـ

الاجتماعية والمثل الأخلاقية ؛ فأنت ترى أن الشاعر العربى كان يستهويه من ممدوحه صفات الشجاعة وشمائل الكرم وخلال الوفاء وعظمة الخلق وسمو الفكر ونصاعة السيرة وعبقرية الذكاء . وأنت ترى أيضاً أن هذه الصفات كلها من الصفات الإنسانية الأصيلة التى تغنت بها البشرية فى ماضيها وحاضرها، واتخذت منها سرجًا ومصابيح وأناشيد وتسابيح . . ولكن هذه الأخلاق إنما تزكو وتنمو وتؤتى ثمرتها الطيبة كلما كانت أصداء تقديرها وآثار الإعجاب بها بارزة فى حياة المجتمع ومتأثرة بها أخلاقه ومذاهبه ، وليس كالشاعر فى أمة من الأمم من يستطيع جلاء هذه الصفات والارتفاع بها إلى أرقى قمم الجمال وأسطع مشارق السمو . والعربى أينما كان رجل يهتز لكلمة الثناء أبلغ الاهتزاز ويتأثر بلفظة الذم أشد التأثر . . والتاريخ ملىء بالشواهد والبراهين ؛ قال الحطيئة فى إحدى قصائده اللاذعة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها　　　واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

فتأثر الزبرقان بن بدر تأثراً عظيماً واستعدى على الشاعر (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه طالبًا أخذ حقه من هذا الشاعر الذى بلغ بهذا البيت منه أقصى غايات الزراية بمقامه وشرفه . وبنو أنف الناقة كانوا يستعيرون من هذا اللقب ويتوارون منه خجلا حتى إذا قال فيهم الحطيئة نفسه هذا البيت :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهمو　　　ومن يساوى بأنف الناقة الذنبا

فكان الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال ( أنفى ) ومد بها صوته فخراً واعتزازاً وتاريخنا الأدبى مفعم بأمثال هذه الحوادث الجليلة التى إن تدل على شىء فإنما تدل على شدة حساسية العربى ورهافة مشاعره وتأثره السريع بكل ما يتصل بقدسية الخلق وحرمة الشرف .

والمديح باب من أبواب الشعر العربى الضخم الذى استنفد أو كاد مواهب الشعراء وسحائب الشعر ؛ فما تنقضى ديمة منه إلا استهلت أخرى . وفى اعتقادى

أن ضخامة باب المديح فى الشعر العربى إنما ترجع ، فى أول أسبابها ، إلى نزعة النفس العربية التى يروعها الخلق العظيم وتستهويها السجايا الشامخة فتجدها تحرص أشد الحرص على تخليد مواهبها الأدبية فى ظلال العظمة الإنسانية التى تتمثل لها فى شخص ملك أو أمير أو وزير . ثم تأتى بعد هذا أسباب ثانوية ، منها تقدير الممدوح للأدب واحتفاؤه بالشاعر والمبالغة فى رعايته وتوفير أسباب النعمة والجاه لرغائبه ومواهبه. كذلك كان زهير بن أبى سلمى مع هرم بن سنان، والنابغة مع النعمان ، وحسان مع الغساسنة ، والأخطل مع عبد الملك بن مروان، وأبو تمام مع المأمون والمعتصم ، ومروان بن أبى حفصة مع معن بن زائدة ، ومسلم بن الوليد مع يزيد بن مزيد الشيبانى ، والبحترى مع المتوكل والفتح ابن خاقان ، والمتنبى مع سيف الدولة ، وغيرهم وغيرهم .

وبعد ، فقد حمل إلى البريد ديوان ( القطريات ) للشاعر ( عبد الرحمن ابن قاسم المعاودة ) . والديوان تحفة من تحف الفن الطباعى نصاعة ورق وأناقة ترتيب وفنية تسطير ومتانة تجليد . ومثل هذا الإخراج الطباعى للآثار الفنية باهظ التكاليف فادح المؤنة . وقد عجبت لذلك ، ولكن عجبى زال حينما أفصح لى الديوان عن نفسه ؛ فقد طبع على نفقة حاكم قطر الشيخ على آل ثانى . والديوان محلى برسم جليل للحاكم ورسم آخر للشاعر نفسه ، وقد أهداه صاحبه إلى عظمة الشيخ وقدمه إليه بهذه الأبيات الجميلة :

أقدم ديوانى إلى السيد الذى — يقصر عن آلائه النثر والشعر
إلى العلم السامى بفضل وسؤدد — وبيض أياد ما لها أبداً حصر
على بن عبد الله واحد عصره — له الذكر محمود . له المجد والفخر

وشاعرنا نازح من البحرين إلى قطر ، يظهر ذلك من قوله فى إحدى قصائده :

وذنبى فى البحرين أنى أديبها — وأنى على رغم الأذى ابنها البكر

ومن قوله أيضا :

إذا المرء يا مولاى ضيم بموطن  فأحرى به إن كان حرًّا يجانبه

ومن قوله أيضا :

بيت هنالك فى المحرق حائم  من حوله أمل بفضلك باسم
وبه الصغار كأنهم زغب القطا  متطلعين لأوبتى ونداكمو

وديباجة الشاعر ديباجة عربية صميمة تستنشق فى أنفاسها عبير أبى تمام وريا جرير وأرج المتنبى . وأول ما يطالعك فى الديوان القصيدة الرائية ، وهى أول ما يبعث به الشاعر إلى سمو أمير قطر :

لنيل العلا فليعظم السعى والمهر  فمن دونها للمرتجى المسلك الوعر
لك الخير يامن شاع بالفضل ذكره  وساد كريماً ليس فى خلقه نكر
أغر يشع النبل من قسماته  ويشرق منه الجود للنــــاس ، والبشر
تبوأ كرسى السيادة فازدهت  به قطر يمناً وفاض بها الخير

ثم تطل عليك بعد هذه القصيدة قصيدته التائية المطربة التى ما إن تقرأها حتى تتذكر قصيدة دعبل :

مدارس آيات خلت من تلاوة  ومنزل وحى مقفــــر العرصات

وقصيدة النميرى :

تضــــوع مسكاً بطن نعمان إذ  مشت به زينب فى نسوة خفرات

وقصيدة شوقى :

إلى عرفات الله يا ابن محمد  عليك سلام الله فى عرفات

فلنستمع إلى ( المعاودة ) فى هذا النغم الصافى واللحن الرفاف :

أعدن الهوى من هذه العرصات  مرابع طالت بينها وقنـــــاتى
بها كان ملقانا وفوق رياضها  قضينا أويقات لنا نظرات
وأسكرنى عرف الحبيب وذكره  ففاضت دموع العين بالعبرات

فيا بارقاً من دوحة العز لاح لى　　فأسفر عن يمن وعن بركات
فدنياك أشرق بالسعود فإننى　　أعيش بليـــــل حالك الظلمات

ويهل عيد الفطر وتغمر الفرحة نفوس المسلمين فيتقدم الشاعر مهنئا الحاكم والمحكومين بهـذا الموسم الدينى العظيم ويصف المظاهر الاجتماعية من تقاليد العيد ومباهجه :

ضحى المجد من علياك زهر خمائله　　وباسمك غنت ساجعات بلابله

إلى أن يقول :

هنيئاً بعيد الفطر فالعيد يزدهى　　بمثلك فى الشعب الذى أنت كافله
أهل عليا العيد يمنا ورحمة　　فطابت لنا أصباحه وأصائـــله
وقمنـــا نحيى بعضنا وجميعنا　　صفت وزكت نياته ودخائله

ثم تغمر الشاعر ذكرى الأمجاد العربية الكبرى فيلتفت إلى الماضى المجيد فى تلهف واعتزاز فيقول :

تعود بنا للفاتحين وعهـــدهم　　وعصر به الإسلام سادت بواسله
تطل علينـــا ذكريات كريمة　　تغنى بها التاريخ مذ قام ناقله
إذا افتخر الغرب العتيد فإننا　　لنا قبـــله الفخر الذى هو جاهله
مواطننا مهد الرسالات والهدى　　وفينا كتاب الله كثر فضائله
أمولاى إن الحمد والمجد يشترى　　وما المجد إلا كل ما أنت فاعله
سخاء وعدل واعتزاز وعفة　　طبائع حر ، قد زكت ، وشمائله
وإنى رأيت الليل يزداد ظلمة　　إذا اقتربت من كل صبح أوائله

وفى هذا البيت الأخـير يرسل الشاعر حكمته العميقة فى وثبة من وثبات الخيال الأنيق والمعنى الرشيق . ونود قبل أن نختم هذه الدراسة أن نشير إلى بعض الأخطاء العروضية والنحوية . مثل قوله :

أناجيه إذ لا بدر فى كبد السما　　ولا نجمة إلا فى الضباب تغور

ففي هذا البيت خطأ عروضي وهو الزحف الملحوظ في البيت وعدم استقامة الوزن .

وهناك بعض ألفاظ رسمية مبتذلة مثل قوله :

لكن أحمد طبق الأصل منك فكم  أسدى الجميل وكم أسدى وواساني

فكلمة ( طبق الأصل ) هذه كلمة استعملتها المصالح الرسمية حتى لم يبق فيها رونق لمستعير ، وهي بعد هذا وقبله ليست من الكلمات الشاعرية التي يحسن استعمالها في الشعر . .

وبعد، فإني أشكر للأستاذ الكبير (عبدالقدوس الأنصاري) هديته القيمة وتحفته النفيسة ؛ فقد أمتعني بقراءة هذا الديوان الأنيق الذي كرم بإهدائي إياه .

## (١)
## (جميلة الجزائرية فى شعر نزار قبانى)

يحتل هذا الشاعر ( نزار قبانى ) مكاناً مرموقاً فى الشعر العربى الحديث باعتباره قطباً من أقطابه الكبار وعلماً من أعلامه المبرزين ، ومجلة (الآداب) البيروتية تحتفل بشعره وتعتز به وتحلى صدرها الجميل بكل قلادة من قلائده. وشاعر يتمتع بمثل هذه المكانة الأدبية الملحوظة والتقدير الفنى العظيم لابد لنا قبل دراسة قصيدته هذه أن نوضح الاتجاهات والقيم التى يستهدفها الشاعر فى إنتاجه الشعرى لنستطيع من ثمة أن نجلو أمام الأديب العربى صورة واضحة لشخصيته الأدبية ، ومثالا بارزاً لكيانه الفنى .

ولعل القراء يوافقوننا على أن نزعة ( نزار ) فى الشعر كنزعة ( إحسان عبد القدوس ) فى ( القصة ). فكما أن (إحساناً) فى فن القصة لا ينظر إلى المرأة إلا من خلال الغرائز الدنيا واللذة الجنسية، ولا يراها إلا فى مخادع الغواية والضلال، فكذلك ( نزار ) لا تكاد تقرأ له قصيدة فى أى موضوع كان إلا شممت فيها رائحة ( الأنثى ) وعطرها وتبرجها وسحرها حتى فى أجل المواقف الإنسانية التى تتعرض لها المرأة العربية . وتطغى هذه النزعة الجنسية الطاغية على نفسية الشاعر وتستغرق تفكيره وتندس فى كل خلجة من خلجات فنه وكل نبضة من نبضات أدبه ، حتى إن أسماء دواوينه لا تسلم منها ؛ مثل ديوانه المسمى ( طفولة نهد ) وديوانه الآخر ( قالت لى السمراء ) وما إلى ذلك من الأسماء ، وهذه الظاهرة التى ينضح بها شعر ( نزار القبانى ) تنتظم كل إنتاجه الأدبى بصورة يحس منها المتتبع لأدبه أن دنيا هذا الشاعر دنيا (دونجوان) حب وغزل وهجر ووصال.

ثم نعود إلى الناحية الثانية من هذا التخطيط البيانى لشخصيته الفنية فنقول: إن نزاراً بوصفه مجدداً كبيراً استطاع أن يتحرر من مسلك القافية الواحدة والوزن الواحد ، فأنتج قصائد متنوعة القوافى والأوزان مع الاحتفاظ بروح

الموسيقى فى السياق النظمى للكلمات ؛ فأنت إن افتقدت رنة القافية وصلصتها فلن تفتقد نغمة الوزن وجرس الموسيقى .

وبعد هـذا التمهيد أظن أننا متفقون على أن أهم عامل فى إصالة الشعر بنوعيه القديم والجديد إنما هو فى مقدرته على تحريك أحاسيسنا وإثارة عواطفنا والسمو بمشاعرنا إزاء التجارب الشعورية والمواقف الإنسانية التى انفعل بها الشاعر وعاناها وجدانه، والتى يقدمها لنا فى صورة من هذه الصور اللفظية التى نسميها ( شعراً ) .

ومعـلوم أيضاً أن أهم رسالة للأدب هى تهذيب النفس الإنسانية والسمو بنزعاتها الفطرية إلى أشرف القيم وأنبل المثل وأسمى المبادئ . وليس كالشعر فى عموم الفنون الأدبية فن له من الأثر فى النفوس والانطباع فى الأرواح والقدرة على التأثير فيها وتوجيهها وتهذيبها والتسامى بنحائزها إلى أسمى الآفاق وأنبـل الأخلاق بما للشعر من قدرة على ذلك كله . ورحم الله ( معاوية ) فقد حدثنا عن نفسه قائلا : لقد هممت بالفرار يوم ( حنين ) فما ردنى إلا قول ابن الإطنابة :

أبت لى همتى وأبَى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقدامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى

فى هذه الأبيات القولية المفعمة بالسمو النفسى والمتانة الخلقية دعوة إلى اتخاذ أنبل المواقف وأشرفها فى مجال لا يرجع فيه الإنسان إلا إلى رصيد نفسه من القيم وذخيرتها من المثل . وقد كانت هذه المثل الأخلاقية المنطوية فى ثنايا هذه الأبيات حافزاً لمعاوية على الثبات فى موقفه بين الحياة والموت،ذلك الثبات الذى عصمه من معرة الفرار ودرأ عنه سبة الإدبار ..

(وجميلة أبوحيرد) بطلة عربية جزائرية ضربت مثلًا رائعاً من أمثلة البطولة والفداء فى سبيل الحرية والكرامة ، فتعرضت حياتها لأبشع صور الظلم وأشنع

ضروب الطغيان ، وكان لبسالتها النادرة وإبائها الفذ صدى هز الضمير الإنسانى فى شتى أنحاء العالم ، وكانت لهذا حرِيَّة أن تستأثر بإكبار وإعجاب الشعراء وعلى رأسهم ( نزار قبانى ) ، فلنستمع إليه :

الاسم جميلة أبو حيرد
رقم الزنزانة تسعونا
فى السجن الحربى بوهران
والعمر اثنان وعشرونا
عينان كقنديلى معبد
والشعر العربى الأسود
كالصيف كشلال الأحزان
إبريق للماء وسجان
ويد تنضم على القرآن
وامرأة فى ضوء الصبح
تسترجع فى مثل البوح
آيات محزونة الارنان
من سورة مريم والفتح

هذا هو المقطع الأول من قصيدة (نزار) ، والقصيدة كما ترى تترقرق بروح الوزن وترق بنضارة القافية ؛ فهى على وزن قصيدة الحصرى ، كما يقول الأستاذ خليل هنداوى :

ياليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده

وهذا الوزن الخفيف السريع يعطى للشاعر مجالاً واسعاً للتعبير عن خوالجه وخطراته بحرية كاملة وانطلاق تام لاسيما وقد تنوعت القافية وأصبح بمنجاة من تحكمها المزعوم . وكان فى مقدور شاعرنا وقد تهيأت له أسباب الحرية

ووسائل الانطلاق أن يتسامى بكلماته عن مثل هذه التعابير الدارجة التى لا ترتفع فى مستواها عن ( محاضر التحقيق ) و ( استمارات الهوية ) فى مثل قوله ( الاسم جميلة أبو حيرد ) ( رقم الزنزانة تسعونا ) ، ( فى السجن الحربى بوهران ) ( والعمر اثنان وعشرونا ) . ثم ماوجه الشبه بين الشّعر العربى الأسود والصيف وشلال الأحزان ؛ إننى أقرر أن نزاراً لديه من الطاقة الشعرية والموهبة الأصيلة مايرتفع به إلى أسمى ذروات الفن ، ولكن بدعة التجديد هذه جرفته فى تيارها العارم، فانجرف معها انجرافا طاغياً مهملا كل ما لديه من قوة فى التعبير ورصانة فى الأسلوب ، حتى أصبح الشعر لديه عبارة عن كلمات ملونة ولفظ مزخرف . وإلا فإن من يستطيع أن يعبر عن الإطار الخارجى للسجينة بمثل هذه التعابير الطريفة :

إبريق للماء وسجان ويد تنضم على القرآن
وامرأة فى ضوء الصبح تسترجع فى مثل البوح
آيات محزونة الأرنان من سورة مريم والفتح

لا يعجزه أن يسبكها فى صياغة محكمة ونسيج متين . . ولما كان التكرار سمة من سمات الشعر الحديث يتخذه الشاعر تكأة يستند عليها عند انقطاع نفسه وتوقف حسه ، فإن كثيراً من كلمات القصيدة سيتكرر فى مطلع كل قطعة منها ، فلنستمع إلى المقطع الثانى :

الاسم جميلة أبو حيرد
اسم مكتوب باللهب
فى أدب بلاد فى أدبى
العمر اثنان وعشرونا
فى الصد ما استوطن زوج حمام
والثغر الراقد غصن سلام

وامرأة من قسنطينه
لم تعــرف شفتاها الزينه
لم تدخل حجرتها الأحلام
لم تلعب أبداً كالأطفال
لم تغرم فى عقد أو شال
لم تعرف ، كنساء فرنسا ،
أقبية اللــذة فى بينال

ولن نناقش الثغــر الذى هو كغصن السلام ؛ فإن الإغراب والإحالة فى المجازات والتشبيهات علم لا يعلمه إلا الراسخون فى الشعر الحديث . ولكننا نتساءل وقد عرضنا مقطعين من هذه القصيدة . ما هى الأحاسيس التى أثارتها فينا ؟ والمشاعر التى حركتها فى قلوبنا ؟ والعواطف التى هيجتها فى أرواحنا ؟ وما قضية هذه المرأة السجينة التى تبدو محاسنها الجسمية من ثغر وصدر وشعر ونهود ؟ وكل ذلك من خلال الزنزانة رقم تسعين، أهى مجرمة أم بطلة ؟ وما نوع جريمتها ؟ أو ما هو شكل بطولتها ؟ أسئلة لا تجد عليها أى جواب : ثم ماذا حركت فينا هــذه المرأة من مشاعر وأحاسيس ؟ هل أحسسنا نحوها بشفقة أم بإكبار أم بخوف أم برثاء ؟ لا شىء لا شىء . لقد وقفنا حائرين لا نعلم من قصتها شيئا، ولا نعلم ما هو السبب الذى ساقها إلى السجن . وإذاً فلنستمر فنقرأ المقطع الثالث من هذه القصيدة :

الاسم جميــلة أبو حيرد
أجمل أغنية فى المغرب
أطول نخـــــلة
عرفتها واحات المغرب
أتعبت الشمس ولم تتعب

يا رب هل تحت الكوكب
يوجد إنسان مهما كان
يرضى أن يأكل أن يشرب
من جثة امرأة تصلب
لكن فرنسا ياربى
ترضى أن تلعق كالكلب
من جثة امرأة تصلب
من لحم جميلة أبو حيرد

الحق أن (جميلة أبو حيرد) أجمل أغنية فى المغرب بل فى العالم العربى كله؛ لأنها أغنية البطولة والفداء والشرف. ولكن نزارا هذا الشاعر الكبير يأبى أن يقدمها إلينا إلا تقديماً باردا خاليا من روح الإكبار وحرارة الإعجاب، وتأبى النزعة الجنسية إلا أن تظهر بحماها وغرامها فى كل مقطع من مقاطع هذه القصيدة. فإذا نحن أمام امرأة سجينة فى الزنزانة رقم تسعين ونهداها بارزان يكادان يطيران كزوج حمام وهى من قسنطينة. ولا تعرف شفتاها الزينة. وبعد هذه الفذلكة كلها لا نخرج بطائل من كل ما أراد الشاعر إثارة اهتمامنا به حتى هذا المقطع لا نكاد نفهم سبب قيام فرنسا بطلب جثة هذه المرأة التى يتحسر الشاعر على فرنسا لأنها تأكل من لحمها. ولا نريد أن نستمر فى عرض القصيدة فإنها أشبه من الماء بالماء. وإذا كان هذا هو أرفع نماذج الشعر الحديث فى أشرف قضية من قضايا البطولة العربية. فقد أفلسنا، علم الله.

## (٢)
## جميلة الجزائرية

### فى شعر : محمود عارف ـ وطاهر زمخشرى

عاشت البطلة الجزائرية (جميلة أبو حيرد) فى قلوب شعراء العربية وأدبائها تستثير مشاعرهم وتحرك عواطفهم وتنطق قرائحهم بالمعانى السامية والكلمات العميقة. ولا عجب فى ذلك فالبطولة فى شتى مظاهرها الحيوية دليل على قوة الروح وصلابة الإرادة ويقظة الحياة . وهى حينما تكون آتية من مصادر اللطف ومنابع الرقة ومناهل العذوبة تغدو أروع روعة وأجل جلال. وكذلك كانت بطولة هذه الفتاة العربية الباسلة فى قلوب العرب كتاباً وأدباء وشعراء وقراء ؛ فقد رأينا الصحف والمجلات تنهمر جداولها وتتدفق حقولها بقصائد التمجيد وأناشيد الثناء ومقالات الإعجاب وكلمات الإكبار لهذه الفتاة العربية الباسلة .

وسنحاول فى هذه الدراسة الأدبية أن نقوم بدراسة لقصيدتين لشاعرين من شعرائنا الموهوبين تجمعهما بيئة واحدة ووسط واحد ومفاهيم واحدة ؛ ويعدان آخر الأمر من طليعة رواد النهضة الأدبية فى الحجاز الحديث ، وهما الشاعران محمود عارف ، وطاهر زمخشرى .

ولقد حفزنا إلى القيام بهذه الدراسة الأدبية أمران: أحدهما مانلمسه ونحسه من انصراف الأذواق الأدبية عن التمتع بفنية الفن الرفيع فى مجال اللفظ المشرق والتعبير الساحر والقصيد الفتاق، والثانى ما يزعمه بعض دعاة التجديد من خلو القصيدة العربية ( الكلاسيكية ) من حرارة المعانى ودفء الشعور وصدق التجربة . ( وجميلة أبو حيرد ) فتاة عربية جزائرية غضبت لبلادها المنكوبة وقوميتها المسلوبة ، فانطلقت من ( مخادع ) النعومة ( وغرف التواليت ) إلى صفوف الجهاد وميادين النضال لتساهم فى إنقاذ بلادها العزيزة ووطنها الغالى من براثن الاستعمار الغاشم ومخالب الغزاة الظالمين ؛ فوقعت أسيرة فى أيدى

المستعمرين يسومونها سوء العذاب وينكلون بشبابها الغض أسوأ تنكيل . وعقدت ( فرنسا ) فى وقاحة ورقاعة محكمة عسكرية تحاكم فيها الفتاة على وطنيتها وجهادها وعروبتها . فكان أن وقفت هذه البطلة العربية أمام المحكمة العسكرية بثبات وعزم وإباء تتحدى بروحها الكبيرة ووطنيتها الصادقة وإرادتها الجبارة كل ما أعده المستعمرون لها من أهوال التعذيب وفظائع الإرهاب . تلك هى خلاصة قصة ( جميلة أبو حيرد ) التى أطلقت ألسنة شعرائنا وبعثت قرائح أدبائنا لتخليدها فى بطولتها الخارقة وعزمها الجبار . فماذا قالوا ؟ لنعد أولاً إلى استعراض الملامح الخارجية للقصيدتين . يستهل عارف قصيدته:

خلدوا فى القلوب ذكرى جميله  فهى نبت العلا ورمز البطوله

ويستهل الزمخشرى قصيدته قائلا :

القرون الطوال من أى عهد  لم تخلد بطولة ( كجميله )

فنقول : إن كلتا القصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة . ويخيل إلىّ أن اسم ( جميلة ) فرض على كلا الشاعرين حرف القافية ورويّها ، ومن ثم بحرها ووزنها . واسم ( جميلة ) اسم موسيقى النبرة غنائى الحروف . وهذه الموسيقية تأتى من الإمالة التى تظهر من كسر حرف الميم والياء ثم رنين اللام المفتوحة والهاء الساكنة مضافا إلى ذلك الصورة الذهنية التى يرسمها هذا الاسم فى مخيلة الشاعرين ؛ فهو إلى كونه اسم البطلة إلا أنه يلقى فى روع السامع والقارئ معنى الصفة الباهرة للموصوف الجميل بخلاف الأسماء التى لا تعطيك ألفاظها دليلا على موضوعاتها . ومن هنا يأتى رنين هذا الاسم . وجميلة لارتباط لفظه بمعناه والجمال محبوب فى كل مظاهره المادية والمعنوية . وفى ضوء هذه (الأضواء) سنمضى فى دراسة القصيدتين، وسنقف عند كل معنى مبتكر ولفظ مختار وصياغة مسبوكة.

وبعد ، فإن مما يتمايز به الشعراء بعضهم عن بعض هو طريقة التناول للموضوعات وتأثرهم بمعانيها واستجابتهم لإيحاءاتها وحسن أدائها وأسلوب صياغتها؛

فكيف تناول ( محمود عارف ) بطلته حين أراد تخليدها فى قصيدته البديعة إلى ( بطلة الجزائر ) يقول محمود عارف :

خلدوا فى القلوب ذكرى جميله     فهى نبت العلا ورمز البطوله
جاهدت عن بلادها فى ثبات     كجهاد الرواد تبغى الفضيله
ومشت والإباء فى ناظريها     تحمل العبء شأن عزم البطوله
وسقت بالدماء أرض ذويها     فانتشى الشرق من دماء الطفوله
شع فى صدرها الحفاظ كفجر     شع نورا على سواد الخميله
فالربيع المعطار فى وجنتيها     نفحة تنتمى لغير الرذيله
والهجير السوار فى أصغريها     لهب فاض ثورة وفحوله

إنه يطلب من القلوب الإنسانية أن تخلد ذكرى جميلة لأنها نبت ورمز البطولة. وهذا حق لا مراء فيه ؛ فقد ضربت هذه الفتاة الباسلة أروع الأمثلة على عظمة الفتاة العربية فى مجال الكفاح وميادين النضال لأنها جاهدت عن بلادها جهاد الرواد من أجل الفضيلة ؛ وأقول من أجل الفضيلة لأننى أرى أن لفظة ( تبغى الفضيلة ) أفقدت هذا البيت المتين جلال إيقاعه الموسيقى فى الأذن الفنية، فهو فى نظرى كالمنحدر من صبب ، حتى إذا انتهى به الشوط النغمى إلى كلمة الرواد جاءت لفظة تبغى كالصخرة التى تتكسر على صلابتها موجة النغم السيال ثم وثبت بعد أن تناثرت قواها الفياضة إلى قرار القافية . . وقد وهنت فيها قوة الدفع وقوة الانطلاق ، وهذا ما يدركه صاحب الحاسة الفنية أيسر إدراك من استعراض البيت التى جاءت هذه الكلمة فى نهايته فأوهنت قواه وبددت تماسكه . . أجل خلدوا فى القلوب ذكرى جميلة لأنها جاهدت ومشت تحمل عبئها شأن عزم البطولة . وكلمة البطولة هنا تكررت فى البيت الثالث من مستهل القصيدة وهذا التكرار معدود من العيوب فى فنون النظم إلا بعد ستة أبيات بل إن من الشعراء الفحول من يأخذ نفسه بعدم تكرار اللفظة فى قصيدة

واحدة مهما طالت . أما هذا البيت :

وسقت بالدماء أرض ذويها فانتشى الشرق من دماء الطفوله

فأشهد أنه نفحة من نفحات الإلهام ووثبة من وثبات الخيال . وسر الروعة فى هذا البيت تـكمن فى المعانى الإنسانية الجليلة التى تمتزج بها كلمة ( فانتشى الشرق من دماء الطفوله ) وأعظم ما جعل هـذا البيت يشع كاللؤلؤة فى سمط القلادة هو كلمة (الطفوله) لما تنطوى عليه هذه الـكلمة من معانى البراءة والطهر والصفاء والعذوبة الخ هذه الـكلمات الغنية بالدلالات الإنسانية العليا التى تعرض ولا توصف : وكذلك البيت القائل ( يشع فى صدرها الحفاظ ) فهو من المعانى الرائعة. ناهيك بأشعة الفجر الزاهية على سواد الخميلة الغناء تصوير بديع وتشبيه رائع للمعنى الناغم فى الصبا الريان لتلك الفتاة الباسلة . على أن وصف الهجير فى البيت الأخير ( بالـثوار ) لا يعطى الموصوف دقته التامة . ولقد كان فى وسع الشاعر أن يقول ( الهجير الفوار ) لأنه أدق وصف لوهج الحرارة وشعلة التوقد، وهو بالتالى أليق بالموصوف .

ثم يستأنف الشاعر لحنه الجميل فيقول :

خلدوا للعزاء عزم فتـــاة رفعت فى الأنام رأس القبيله

وابعثوا للجزائر اليوم عطراً من تحايا الشعوب وهى قليله

كلنـــا فى الحفاظ شىء لمعنى مستطيل وما جهلنا الوسيله

خلقت للدماء هذه السموا ت وللدم أرضنا المفضوله

حق للشاعر أن يؤكد ويلح فى تخليد هذه الفتاة الفدائية التى رفعت رأس القبيلة عالياً . ويرسم لنا هذا البيت معنى من المعانى القبلية التى اتسمت بها حياة الأمة العربية فى تقاليدها النضالية .

فجدير بالأمة العربية أن تبعث من عطور الشعور وطيوب الشعر تحايا إلى الأمة الجزائرية المجيدة، على أننى لم أفهم قصد الشاعر من كلمة أرضنا المفضولة

فى البيت القائل :

« خلقت للدماء هذه السموات » ... فلعل لديه إيضاحاً . .

وبعد هذا النفس الزاخر، يستمر محمود عارف فى التعبير عن المشاعر العربية التى هى :

من وراء الصحراء بيض الأمانى تتلاقى مع الدواعى الطويله
والسوافى على الطغاة العواتى قذفتهم إلى المهاوى الذليله
والشواهين فى الجبال توالى زحفها لاقتناص صرعى الفيوله
ورفاة الشهداء قد ناوحتها من هتاف الأحيا روح بليله
هى روح الفداء حيث التسامى للعلا فى شهادة مأموله
يا صميد الصحراء ما العرب إلا وحدات من طينة مجبوله
الدم الحر فى الجزائر للعرب أصيـــل والسيف يحمى أصيله
فليكن بيننا الكفاح دليلًا للتآخى ، وما أجل دليله

بهذه الروح العربية الصادقة تتسع دائرة الخيال الشاعرى ، فيهتف الشاعر من وراء الصحراء المضمخة بطيوب المجد ، وعبير البطولة ليحيى الشواهين المحلقة فى جبال الأطلس لاقتناص صرعى الفيولة معتزًّا برفاة الشهداء التى تناوحها هتافات الأحياء بروح ملؤها الفدى والتسامى ، لأن هذا الصعيد العربى ما هو إلا وحدات من طينة واحـــدة جبلها الكفاح الدامى فى سبيل العزة والكرامة. وحسبك بالكفاح دليلًا على التآخى وبرهاناً على الاتحاد فى الغايات والأهداف .

فأقرى يا سماء سفـــر التسامى لجهاد الأحرار يروى فصوله
واشهدى يا نجوم أن الأمانى من صعاب الحياة دون السهوله
غير أن العزوم تمتاق مجراه عقابيل تشبه الأحبوله
وأخيراً يفوز بالطلب الأ يد ويلقى مع العلا مأموله

نعم لتقرأ السماء ولتشهد النجوم جهاد الأحرار وكفاح الأبطال ، غير أننا نود أن لا تطغى النثرية الجافة على البيتين الأخيرين من هـــذه الأبيات ؛ فقد جاءت فيهما كلمات ليست لها رواء الشعر ولا جلال الحكم لاسيما كلمة ( وأخيراً يفوز الخ ) فهذه أشبه بالكلام العادى منه بالشعر المؤثر .

ثم ينصرف الشاعر متعجباً لمن يلوم هذه الفتاة وقد انبرت تؤدى ضريبة الدم فى سبيل أمتها العزيزة ووطنها الغالى :

من يلوم الفتاة وهى تؤدى واجب الشعب فى معان حفيله

قلدتها الأيام مفخرة الذود وساماً مع المساعى الجليـــــــله

سوف تدرين يا فرنسا المساعى من وراء السيوف وهى صقيله

حين تلقين فى الجزائر عمقاً وتلقين فى بنيك الضموله

ما نسينا ( جنودك ) وهى تعانى منك وكساً فأين منها جميله

هذه لوحة الكرامة تجلوها فتاة فكانت الأمثـــوله

تلك قصيدة محمود عارف فى تحية البطلة الجزائرية ، وتلك إيحاءاتها ومعانيها مجلوة أمام القارئ فى ميزان الدراسة والنقد الفنى بمعاييره الأصيلة ومقاييسه الدقيقة التى لم تجعل للاعتبارات الشخصية أى مجال فى تقويم الشكل وتقدير المضمون . وفى الدراسة التالية سنلتقى بالزمخشرى .

## (٣)

## ( جميلة الجزائرية )

### فى شعر طاهر زمخشرى

درسنا فى المقال السابق قصيدة الأستاذ محمود عارف ووقفنا عند كل لفظ وصياغة وتركيب موقف الناقد الذى رصد الجمال الفنى فى التعبير والتصوير ويشيد به ويهتف له ويدلل على محاسنه، ولم نترك فى نفس الوقت مواطن الضعف التى أحسسناها ولمسناها فى بعض أجزاء تلك القصيدة البديعة بل أشرنا إليها بالأصابع ووضعنا النقط على الحروف كما يقولون.

وكان هدفنا فى كلتا الحالتين إرضاء الحقيقة الفنية وتأييد الذوق الأصيل وبنفس تلك الروح النقدية المحايدة سندرس قصيدة الأستاذ الشاعر الزمخشرى وسنقف عند كل ما يستوقفنا منها شكلًا ومضموناً :

القرون الطوال من أى عهد　　لم تخلد بطولة ( كجميله )
خطرت غضة تميس إلى السجن خلاخيلها القيود الثقيله
وعلى زندها سوار حديد　　رق كالخز فوق كف نحيله
للفداء المحبوب، للخلد، للإيثار، قد مهد العذارى سبيله
بالفتاة التى بها هتف الكون وقد قدمت معانى الرجوله
خيرت بين موتها أو يموت الثأر فاختارت الردى فى بطوله
ومشت فى الحديد فى نشوة الظافر قد جر فى فخار ذيوله
وعلى خطوها يزمجر شعب　　ثار من أجلها ودق طبوله
ودعا للحفاظ والأخذ بالثار أباة أسيافهم مصقوله

هكذا بدون قاعدة ( موسيقية ) ولا ركيزة ( نغمية ) بين الصدر والعجز يستهل الزمخشرى قصيدته بانفعال عاطفى وتأثر نفسى وإعجاب بطولى، فيقدم لنا بطلته تقديم المعجب ببطولتها العظيمة وبسالتها الخارقة وكفاحها النادر، فينتقض إلى

موضوعه انقضاضاً انفعاليًّا مفاجئا واضعاً النتيجة قبل المقدمة، فلا يعطى للقارئ مهلة للتريث والتأنى . وإنما يجذبه إلى جوه العاطفى المشحون بالحرارة والحماس فإذا هو أمام صورة حية من صور البطولة التى لم تخلد القرون والأحقاب بطولة مثل ماخلدت (جميلة) ، تلك الفتاة التى أضفى عليها بريشته الفنية ظلالا وأشعة أبرزتها فى صورة حية تضج بالحركة وتتوثب بالنشاط وتتدفق بالشعور ، فتحس أنك أمام فتاة فى ريق الصبا وميعة الشباب تتحدى بروحها الفدائية وعزمتها الجبارة وإرادتها الفولاذية قوى البغى وعدوان الطغاة : فتخطر أمام معذبيها وجلاديها فى عناد وإصرار وشباب غض وصبا ناعم وخطوات مياسة . إلى أين؟ إلى السجن . أجل إلى السجن الرهيب تجر فى زهو وخيلاء (خلاخيل) القيود (وأساور) الأغلال ، وتهزأ بالمستعمرين وتسخر بالإرهاب . ولماذا هذا كله؟ إنه :

للفداء المحبوب ، للخلد ، للإيثار ، قد مهد العذارى سبيله

ولفظة (العذارى) هنا هى لب هذا البيت وروحه لما تحمله من طاقة تعبيرية ترتفع بجلال معناه إلى ذروة السمو الفنى . كيف لا والأمة العربية أمة تغار على العرض وتتأثر للشرف وتخوض فى سبيلهما أشد الحروب ضراوة وأغزرها دماء . وماموقعة (عمورية) وزحف (المعتصم) وقصيدة (أبى تمام) إلا صورة واحدة من مئات الصور البطولية الخالدة التى يزخر بها تاريخنا المفعم بمواقف النخوة وروعة الحمية ، وهى صفة من أبرز صفات الأمة العربية وأهم مشخصاتها وأسمى مقوماتها الأخلاقية . ولا شك أن أسر تلك الفتاة التى هزت القلوب وهتف لها الكون وخيّرت بين الموت فى شرف أو الحياة فى ذلة فاختارت الردى فى بطولة ، واستمرت فى تصميم وعزم تمشى فى الحديد مشى النشوان الظافر وقد انتصرت معانى روحها الأصيلة على ضعفها البشرى . أقول : لا شك أن هذه الفتاة جدير بها أن تبتسم للموت وتعانق الردى ؛ لأن وراء خطوها الثابت وإرادتها القوية وإبائها العربى كماة مغاوير وأباة مصاليت وشعب بزمجر وسيوف

مصقولة وطبول تدق ونفير عام يطم السهل والجبل للأخذ بالثأر والانتقام من الظالمين :

والتراب الذى تدوس ينادى    عطرى الأفق بالشذى يا جميله
أنت من مربع البطولات غرس    طبت البنت من جذور أصيله
تتعـــالى إلى السماء سموقاً    وتعود الأحداث عنها كليله
لأباء ما زال ينشر فى الأجيال    آثاره ، وكنت دليــله

إن تحليل هذه القطعة يفسدها والشعر إيحاء وإيماء وليس شروحاً وتفصيلات، وحسب القارى أن يمتــع ذوقه ويغمر حسه بروائحها الشذية وبرياها العطر ولا يقلب هذه الوردة بين أصبعيه تقليب من يحــاول معرفة سر تركيبها (الكيماوى) وعناصرها الطبيعية، على أننا لا نريد أن نمر غافلين عن التفكك الموسيقى الذى يظهر فى عجز البيت الثالث من هذه القطعة الجميلة والذى يبرز فى قلق كلمة (الأحداث) فى موضعها من هذا الانسجام النغمى وعدم تعاطفها مع بقية الألفاظ المؤلفة منها سبيكة هـــذا البيت لأنك إن أشبعت لفظة (الأحداث) ونطقتها مرفوعة انقطعت صلتها عما بعدها وشعرت بهدوء السكتة وإن أنت أيضا رفعت كلمة (تعود) شعرت بالتوقف فى النطق والانفصال فى اللحن ، والآن لنستأنف ترديد الغناء مع الزمخشرى :

أنت يا من لثمت كف المنايا    وتذودين عن حياض الفضيله
عن حياض ترد كيد الرزايا    طائشات ممزقات ذليــله
البطولات فى حماها كنوز    ومفاتيحها النفوس النبيــله
النفوس التى تسيل على الأرض    دماء تسقى الحمى وسهوله
من دماء الأحرار يجرى بها البط    ش ليذكى فى كل شبر فتيله
لترى الدرب أنفس تتهاوى    فى مجال وليس ترضى بديله
فى مجال يحلو الفداء ويحلو    فيه بذل الأرواح وهى جليله
ولئن أثخنت جراحاً ولاقت    من صنوف العذاب شر حصيله

فالمروءات هاتفات : أعينوا  بالنفيس الثمين أرض البطوله
فالضحايا التى تهاوت فراشاً  فى جحيم كهولة وطفوله
وأعيدوا الصدى نميراً من الآلاء مهما هوت أراها ضئيـــله
هل تساوى جرحاً بكف أبى  أو تساوى بالله بذل جميله

احتفظ الشاعر بجيشان عاطفته وفورة إحساسه فى أكثر قطع هذه القصيدة ولم يبدد طاقته الشعورية فى التفاتات ذهنية ووثبات خياليـــة تحيد به عن (الوحدة الموضوعية) والبناء العضوى فى نمو القصيدة وتـكاملها، وكان فيما يخيل إلىّ كلما استنفد جانباً من جوانب الشعور العاطفى ، وكاد نفسه أن ينقطع أطل بشاعريته النشيطة من أعماق التجربة وقرارة الشعور ، وأخذ نفساً طويلًا من أنفاس الآفاق العذبة ثم عاود الغوص فى موضوعه مرة أخـــرى وهو أكثر نشاطا وأشد حيوية . ولـكن ـ ولابد من لـكن هذه ـ ولـكن درجة الحرارة فى آخر القصيدة تهبط هبوطاً شديداً عندما بدأ يندمج فى شعور (المناسبة) التى نظمت بسببها هذه القصيدة وهو (يوم الجزائر) فى المملـكة العربية السعودية. ومن هنا بدأ الفتور يأخذ مجراه فى نفس الشاعر لانفصاله عن الذاتية التعبيرية التى زخرت بها معانيه فى المقاطع الأولى . وبدأت التقريرية الخطابية تبرز معالمها وتشيع روحها فى الأبيات التالية :

فى مجال يحلو الفداء ويحـــلو  فيه بذل الأرواح وهى جليله

وكلمة الأرواح هنا ثقيلة ثقلًا (موسيقيا) وكان أخف منها كلمة (القلوب) أو (النفوس) لو وضع مكانها ليلتحم البيت التحاماً وثيقا فلا يبدو فيه انقطاع ولا تمزق . وهذا البيت أيضا :

هل تساوى جرحاً بـكف أبى  أو تساوى بالله بذل جميله

فإنه بالرغم من القسم المعترض حتى فى سياقه الذى كان من شأنه أن يجعل للبيت رعشة فى النفس فقد بردت الألفاظ فى آخره بسبب الاستفهام الاستنـكارى الذى أشاع فى أقسامه الفتور .

## شاعر من فيفا

الفيفاء فى اللغة العربية الصحراء الجرداء التى لا تبض بقطرة ولا تنوء بشجرة وجمعها فيافى . ومن المفارقات العجيبة والنوادر الطريفة أنه يوجد بهذا الاسم الأجرد ( سلسلة جبال ) فى شرق مدينة ( جازان ) بمسافة ٩٠ كيلو مترا منها جبل فذ يسمى ( فيفاء ) يعلو شامخا فى الفضاء على ارتفاع ( ٧٠٠٠ ) قدم تقريبا وهو فى الواقع المحسوس حديقة غناء وفردوس رفاف يتألق بالنضارة ويتضوع بالعبير . وإنك لتدهش أشد الدهشة حين ترى مناظره الخلابة ومجاليه الفاتنة وهواءه العليل وشجره الظليل . وتتساءل كيف قيل له (فيفاء) وهو يزهو بكل هذه المفاتن ويختص بكل ذلك الجمـــال ثم تعود من تساؤلك وقد صح عندك ما يقول علماء اللغة بأن الأسماء لا تعلل .

ومنذ دخلت ( فيفاء ) إلى هيكل الأدب وتردد اسمها على مسامع الزمن أصبحت علماً من أعلام منطقة (جازان) يشتاق إلى رؤيتها الزائر العابر ويتردد عليها المقيم الحاضر . والفضل فى ذلك كله يعود إلى الأدب والشعر بوجه خاص، فلولاه ما عرفت ( فيفاء ) . وكم للشعر من فضل على الأماكن المجهولة والمواقع الخاملة فى القديم والحديث . . فقد تغنى بجمالهـــا الساحر صديقنا الشاعر ( محمد أحمد عيسى العقيلى ) فى إحدى قصائده المنشورة فى ديواننا المشترك (شعراء الجنوب ) المطبوع عام ١٣٧٠ هـ . كما أتيح لكاتب هـــذه السطور فزارها فى عطلة عيد الفطر من عام ١٣٨١ هـ ، مع شلة من أصدقائه ( ناجى مصطفى ) و ( حسن حوذان ) و( حسين بن عمر الأقصم ) وأخى ( أحمد على السنوسى ) . وكان من وحيها قصيدة نشرت عنها فى مجلة قافلة الزيت : منها هذه الأبيات :

متحف من أشعة وظلال　　فى إطار من نظرة واخضلال
سابح فى الفضاء يغمره النور　　بفيض من السنا والجــلال

ولنا فيها أغنية مستهلها :

لست فيفاء . أنت جنه     تلهم الشاعر فنه

منشورة فى ديواننا ( الأغاريد ) . وهى من الأغانى التى أجازتها وزارة الإعلام السعودية .

وما تزال ( فيفاء ) وهى ( لبنان ) تهامة و ( غوطة ) الجنوب تعيش على الفطرة الخالصة والطبيعة النقية فى حلم طويل ملىء برؤى الإصلاح الفنى الحديث لطرقها الوعرة ومسالكها الخطرة ، وإن الصبح لناظره قريب . قلت : شاعر من فيفاء . أجل ، وماذا فى ذلك ؟! إن الغريب كل الغرابة ألا تنبت تلك الخميلة الفينانة بلبلاً صداحاً وأن يتألق فى سمائها نجم لماح . أما وقد صدح البلبل وفاح العبير ، فمن حقنا أن نطرب ، ومن حقنا أن نطير : إنها باكورة تعد بالعطاء السخى والمحصول الوافر يقدمها لنا الشاعر ( على بن حسن الفيفى ) الوكيل الفنى بوزارة الدفاع السعودى فى ديوانه الأول ( أصداء الذكريات ) وهو حين يقدمها لا يزهو ولا يدل ولكنه يقول فى تواضع كريم : « كان بودى لو قدمت لك ديوانى الذى أرجو أن أتمكن من نشره قريباً على نطاق غير محدود غير أنى فكرت أن أقدم لك هذه النبذة الصغيرة لكى أستطلع رأيك وأستفيد من ملاحظاتك . وما هذه النبذة إلا علامة استفهام » .

يقع الديوان فى (٤٨) صفحة من القطع المتوسط على ورق أزرق سماوى وقد كتب مقدمته شاعر الجيش ( على زين العابدين ) فقال عنه « الشاعر الذى أقدمه شاعر عصامى اتكل على فطرته العربية الأصيلة ، ولم يتتلمذ على أستاذ ، ولم يخرج من مدارس عالية ، ولكنه من صنع نفسه وحدها » وإذا سمح لى الشاعر ( على زين العابدين ) بمناقشة بسيطة . فإنى أحب أن أقول له : إن الشاعر يولد ولا يصنع ، والشعر موهبة قبل كل شىء ، ولن تخرج لنا الجامعات الكبرى ولا المعاهد العالية شعراء أصلا ولا أدباء مبدعين ، وإلا

فقل لى : أين تعلم امرؤ القيس ؟ ومن أية جامعة تخرّج الأعشى ؟ إن الشعر ياصديقى الشاعر لا يخضع لهذه المواصفات . صحيح أن التعليم يشحذ الموهبة ، ويصقل القريحة ، ويوسع آفاق الإدراك ، ولكن ذلك كله موقوف على شرط واحد ، وهو وجود الاستعداد الفطرى والموهبة الأصيلة ، وإلا فإن كل تلك الأدوات لن تخرج لنا شاعراً أصيلاً مهما كانت قدرتها على الصقل وافرة وطاقتها على الشحذ قوية : ثم يمضى زين العابدين فيقول : إن الشاعر نشأ فى الجيش ، وخرج من بين صفوفه شاعراً يصدح بالشعر الرقيق غير المتكلف ، وقد يدهشك أنه شاعر غزل بالرغم من طبيعته العسكرية التى لم تظهر فى شعره بأية صورة . ولا غرابة عندى فى ذلك . ويعجبنى أن أردد فى هذا المقام قول الشاعر العسكرى الشهير ( عبد الله بن طاهر بن الحسين ) أحد قواد الدولة العباسية حين يصور فى البيتين الرقيقين طبيعة الرجل العسكرى :

نحن قوم تذيبنا الحدق النجـــ ـــل على أننـا نذيب الحديدا
طوع أيدى الحسان يقتادنا الحب ونقتاد فى القتـال الأسودا

ويغلب على الديوان لون واحد هو لون القصائد الغزلية التى تصور أحاسيس الشاعر وتجاربه الوجدانية . بل أكاد أقول ومغامراته الغرامية تصويراً شديداً لا يكتفى باللمح والإيحاء وإنما يحدد المعانى ويفضح الأسماء .

اسمعه فى قصيدة ( ليلة وداع ) .

أبت ذكريات الأمس تجلو من الفكر وما الغرامى عند ( زهبة ) من ذكر
كأن لم نعش يوماً سويًّا فأصبحت تصـــد وحبى فى شرايينها يجرى

إلى أن يقول :

وغازلتها حتى إذا ما تبسمت مددت يدى للخد والنهد والخصر

و ( زهبة ) هذه كما أعتقد فاتنة من فواتن جبل ( فيفا ) مسقط رأس الشاعر ومدرج صباه ، وهذا الاسم من الأسماء المحلية المعروفة فى البوادى ،

ولها طابعها الخاص وسمتها المميزة ، على أن هناك غير ( زَهية ) كـ ( شمسة ) وغـيرها .

نصحت القلب عن حب العذارى ولم يصغ الفؤاد لأى نصح
تمادى فى هـــواه وصار يبنى لهن به مقـــامات بصرح
فقلت إذاً فواحـــدة وإلا ستبقى تائها فى كل ســـفح
فقال: اخترت ( شمسة ) لا سواها وشمسة فى غنى عن كل مدح

إن هذه المقتطفات التى قدمتها فى هذا العرض السريع نماذج من شعر الديوان ، وهذه النماذج هى أحسن مافى الديوان من القصائد الغزلية من حيث جودة السبك وجمال الأداء وقوة التعبير ، على أن بقية القصائد لاتخلو من هنات وشوائب فنية ونحوية ولغوية . وما نريد أن نسردها على الشاعر وهو فى مستهل بواكيره الأدبية ، ولـكننا نود فى رفق رقيق ولطف لطيف أن نضع يده على بعض نماذج منها كقوله :

متعت عينى إذ رأت كواعبا آلين ألا أختلى ( بمنـاتى )

وكلمة ( مناة ) هنا غير صحيحة . والـكلمة الصحيحة ( أمنيتى ) أو (منيتى) وكقوله :

وقد كنت ذا طبع لطيف ورقة ووصلك ميسور وثغرك باسم

صوابه : وقد كنت ( ذات ) ؛ لأن الضمير فى ( كنت ) عائد إلى مؤنث لا مذكر ، وكقوله :

وظننت الوفاء شىء محـال وبأن الوداد ليس يدوم

وصحته: وظننت الوفاء شيئاً محالًا ؛ لأن ظن تنصب مفعولين . وهى هنات خفيفة فى مقدور الشاعر ملاحظتها فى مستقبل حياته الأدبية التى أرجو لها كل تقدم وازدهار .

## (١)
# رفيق المهدوى
### شاعر الوطنية الليبية

من الإنصاف للواقع والاعتراف بالحق أن أقرر سلفاً أننى لأول مرة فى حياتى الأدبية أسمع باسم هـذا الشاعر الـكبير . وأنا لا أجد أى غضاضة فى هذا الاعتراف ؛ وذلك لأن الحياة الأدبية فى هذا الجزء العزيز من وطننا العربى الـكبير لمّا تزل محوطة بالغموض مشمولة بالإهمال،فلقد اطلعنا واستوعبنا أسماء كثير من شعراء مصر والشام والعراق ، واتصلت أفـكارنا بأفـكارهم وعواطفنا بعواطفهم اتصالًا وثيقاً عبر ما نقرؤه منشوراً فى الصحف الأدبيـة التى تصدر فى هذه البلاد ، وعبر ما نسمعه محمولًا على أمواج الأثير . ولـكننى أجد السلوى والعزاء إزاء جهلى اسم هذا الشاعر إذا قارنت نفسى بالأستاذ الشهير ( محمد فريد أبو حديد ) الذى يقول فى كلمته التى حَلَّى بها ديوان رفيق المهدوى « أشعر بكثير من التردد فى ذكر حقيقة لا تسرنى ، وهى أنى لم أعرف شيئاً عن شاعر ليبيا الـكبير ( رفيق المهدوى ) قبل أن أذهب إلى ليبيا مع أنى ما كدت أهبط أرض ليبيا حتى سمعت اسمه على كل لسان، لـكن مما يخفف وقع هذا الشعور عندى أنى لست المسئول وحدى عن هذا الأمر ؛ إذ أن فيه شركاء كثيرين لايمكن إعفاؤهم من اللوم ، فأنا لم أقرأ يوماً طوال السنين الماضية اسم هذا الشاعر العربى فى مجلة أدبية عربية ، ولم يرد ذكره فى خبر من أخبار الصحف ، مع أنه طالما أنشد أناشيده فى كل مناسبة تهتز العروبة لها ، أفيصح بعد هذا أن أشعر أنا بأى غضاضة أو تردد فى اعترافى بحقيقة عدم سماعى عن هذا الشاعر طوال هذه السنين المديدة التى امتدت فيها الحياة الأدبية امتداداً واسعاً ، وتعرفنا على الـكثير من ملامحها وصورها من المحيط إلى الخليج . . ».
لذلك كان سرورى عظيماً واغتباطى غامراً حين تناولت رسالة الأستاذ الصديق

( عبد الفتاح أبو مدين ) ومعها ديوان ( رفيق المهدوى ) راغباً إلى دراسته والكتابة عنه : ألَا شكراً لك يا أستاذ ؛ فقد وايم الحق أديت بهذا الصنيع واجباً من أهم واجبات ( الرائد ) وهى التعريف بشعراء الأقطار العربية المجهولين والتنويه بآثارهم الفنية على صفحات مجلة ( الرائد ) . وحسبى هذا فإن الديوان بين يدى والقراء فى حاجة إلى معرفة الشاعر ( رفيق المهدوى ) :

ولد الشاعر ( رفيق ) فى قرية ( قساطو ) بليبيا عام ١٨٩٨ م ، وفى الثانية عشرة من عمره هاجر إلى مصر ، وفيها حصل على الشهادة الابتدائية ثم الكفاءة ثم البكالوريا ثم عاد إلى وطنه والتحق بوظيفة سكرتير بلدية (بنغازى) ولكن الفاشست عزلوه ، فهاجر إلى تركيا عام ١٩٢٤ م وأخيراً عاد إلى وطنه عام ١٩٤٦ م وأسهم بقدر كبير مشاركاً فى الحركة الوطنية التى توجت باستقلال ليبيا عام ١٩٥٢ حيث عين عضواً بمجلس الشيوخ الليبى . وكان للحوادث الكبرى التى وقعت فى ليبيا ومصر وفلسطين وتونس والشرق العربى بعامة صداها فى شعره . وقد تزعم دعوة التجديد فى هذا الشعر حتى قال عنه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : لقد رأيت من الواجب علىّ أن أنبه فى صحافتنا الأدبية إلى مكان هذا الشاعر الذى يقل نظراؤه فى العصر الحاضر . . .

تلك هى حياة الشاعر فى سطور موجزة وكلمات مركزة . أما شعره فيقول عنه الشاعر الكبير (عزيز أباظه) فى تقديمه للديوان: « لعل أروع ما يتضح لنا فى هذا الديوان القيم تلك التجارب الشعورية التى صورها الشاعر فأحسن تصويرها ، وحاول ما وسعته طاقته العامرة أن يبرزها فى إطار شائق جذاب دون أن يحيد عن نطاق الحقيقة والصدق والإصالة بتعبير زائف أو فكرة مشوبة ؛ فنحن إزاء شاعر يطل على مرائى الطبيعة ومجالى الكون ومواكب الحياة من خلال أحاسيسه اليقظة الواعية ، ثم يرسم بريشته الصناع ما انبثق فى وجدانه من خلجات وخفقات وما التمع فى عقله من لمحات وومضات ».
وناهيك بهذا القول منقبة للشاعر ومفخرة للشعر .

أما الفضل فى إخراج هذا الديوان إلى عالم النور وتشنيف آذان العروبة بأناشيده الحلوة وأغاريده السابية فيرجع إلى الأستاذ المفضال ( صادق عفيفى ) عضو البعثة التعليمية المصرية بليبيا الذى فاز بثقة الشاعر وألح عليه إلحاحاً حتى أذن له بنشر طائفة من شعره فى هذا الديوان . ولولا الأستاذ ( صادق ) ما استطاع شىء من هذا الشعر أن يظهر للناس كما يقول ( أبو حديد ) .

ولكن لماذا يشح الشاعر كل هذا الشح ويصر كل هذا الإصرار على التخفى والانزواء ، ولا يسمح بنشر شعره إلا بعد إلحاح شديد ورجاء بالغ . والفنان عامة والشاعر خاصة لا يسره شىء قدر ما يسره انطلاق شعره فى الآفاق وانفساح ذكره فى الأمصار .

أما أنا فأعلل هذه الظاهرة بأمور تتصل بحياة الشاعر النفسية والأحداث السياسية التى اكتوى بنارها . ومن ذلك أن شاعرنا تعرضت بلاده للاستعمار الإيطالى وسنه ( ١٣ ) سنة ؛ إذ هو مولود فى عام ١٨٩٨ م والغزو الإيطالى كان عام ١٩١١ م وحتى فى مثل هذه السن الغضة والقلب الطرى والإحساس المرهف تتعرض بلاده لأعنف المآسى الإنسانية ، وأقسى المظالم البشرية يهتز وجدانه ولا شك بمشاعر مليئة بالسخط مفعمة بالأسى زاخرة بالرثى لهذا الإنسان الفانى الذى يحاول تشييد مجده على أشلاء أخيه فى الإنسانية فى غير احترام للمثل ولا اعتبار للقيم . وينتج من ذلك أن تولدت فى نفس الشاعر عواطف زاهدة ترى الدنيا باطل أباطيل وقبض الريح ، وإذن فما جدوى الشهرة الأدبية وما فائدتها ، ولكنه كشاعر لم يستطع أن يكبت ما يعتمل فى وجدانه من مشاعر وأحاسيس ، فمضى يغنى عواطفه كالطائر المهاجر على الشجرة الموحشة فى الأرض القفراء ولكن أغاريده لم تمض أدراج الرياح بل حملها جناح الفن إلى محبى الفن ، فجاءت مجموعة فى هذا الديوان الذى نرجو أن نلتقى مع القراء فى الاستماع إلى أهازيجه فى الحلقة الثانية من هذه الدراسة .

## (٢)

## رفيق المهدوى

### شاعر الوطنية الليبية

وينقسم الديوان إلى ستة أقسام : القسم الأول ( وطنيات ) ، والثانى ( تأملات ) ، والثالث ( قصص ) ، والرابع ( وصف ) ، والخامس ( اجتماعيات ) والسادس ( متفرقات ) .

وأول مايصافح نظرك فى هذا الديوان ( تغريدة ) حلوة عنوانها ( وطنى ) ما إن تقرأها حتى تهتف من أعماق قلبك :

وارحمتا للغريب بالبلد النا　　زح ما ذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا　　بالعيش من بعده ولا انتفعا

وفى هذه التغريدة الحلوة تبرز خلجات شاعر رقيق العاطفة رقيق الإحساس يرسل نفسه على سجيتها ، ويطلقها على طبيعتها فتأتى ألفاظه ومعانيه عفو الخاطر وفيض الشعور ، لا تكلف فى أسلوبه ولا تصنع فى أدائه ولا تزوير فى مشاعره . فلنستمع لهذه التغريدة الحلوة التى حَلّى بها صدر الديوان فكانت كالقلادة فى جيد الحسناء :

لم أكن يوم خروجى　　من بلادى بمصيب
عجبا لى وانتركى　　بلداً فيه حبيبى

ترى هذه الرقة الذائبة والبساطة الناصعة فى هذا التعبير الصافى ( بلداً فيه حبيبى ) هو فى الواقع معنى عادى ، ولكن صدق شعور الشاعر وعمق تجربته الإنسانية وتلقائية تعبيره العفوى أكسب هذه الجملة طرافة جعلتها تبدو مليئة برعشة الحياة ونبضات الإحساس . ودعنا نستمر :

وطناً فيه أناسى　　وبه مسقط راسى

لست ما عشت بناسى   لذة العيش الخصيب
بين أهل وقريب   وصديق وحبيب
لم أكن يوم خروجى   من بلادى بمصيب
عجباً له ولتركى   بلداً فيه حبيبى

عجباً لى يا بلادى
كيف ضيعت رشادى
لم أوفق فى اجتهادى
حين فارقت حماك
وتوطنت سواك
بان لى قدر الغريب

لم أكن يوم خروجى   من بلادى بمصيب
عجباً له ولتركى   بلداً فيه حبيبى

إن من عاش غريباً
عاش لاشك كئيبا
وإذا كان أديبا
عاش مجهولا مضاعا
يلتقى الفجر التياعا
بين حزن ونحيب

لم أكن يوم خروجى   من بلادى بمصيب

إن هذه ( التغريدة ) الوطنية الموسيقية تذكرنا بالموشحات الأندلسية ذات الرنين الصافى والإيقاع الرخيم ، فى كلماتها ونغماتها ، وهى بما تحتويه من معان إنسانية منتزعة من صميم الطبيعة البشرية ستبقى أنشودة لكل قلب غريب وفؤاد كئيب . وقريبا قال الشاعر الروسى ( باسترناك ) الحائز على جائزة (نوبل) فى رسالة وجهها إلى خروشيف عند ما تردد فى الأوساط السياسية

نبأ اعتزام حكومة روسيا نفى الشاعر العظيم (إن مفارقة الأوطان كمفارقة الروح سواء بسواء).

وهذا منتهى ما يصل إليه الشعور الإنسانى فى حب الوطن والفناء فيه، على أن وطنيات شاعرنا تتنوع فى أغراضها وتتحد فى أهدافها، فمنها الشعر الوطنى العاطفى، ومنها الشعر الوطنى السياسى، ومنها الشعر الوطنى الاجتماعى، ومنها الشعر الوطنى الوصفى، وكلها مع تنوع بواعثها واختلاف ألوانها تنحدر من ينبوع الإحساس الصادق والعاطفة الجياشة: ففى قصيدة أخرى من تلك القصائد الوطنية - عنوانها (فراق) - تحس أن روح الشاعر بشوقها وحنينها ترفرف فى كل كلمة من كلماتها:

سكنته يوم الرحيـــل فهاجا شوق أثار المدمع الثجاجا
أقسمت لو ذقت المنية لم تكن عندى أشد من النوى إزعاجا
لكنه قدر قضى من قبلنا لأبى البرية آدم الإخـــراجا

إحساس عميـــق وشعور متوهج يحلق فى الذروة من الحنين الإنسانى والأشواق الوطنية. ولا بدع فقد فارق الشاعر وطنه مكرها.. وهو لا يحب وطنه حب الطاعم الكاسى، ولكنه يحبه حب المجـــاهد المخلص الذى يبذل روحه فى سبيل عزة الوطن وكرامته، ويرفض العيش فى ظل الاستبداد وتحت راية الطغيان. ولو كان هذا العيش رخى النسيم فياض النعيم:

يقول لى الصديق أرح ركابا فإنك واجـــد أرباً وجدا
يكلفنى لأبلغ من حطام غنى أرضى به ليدىّ مدا
فقلت لطالب الإحسان قيداً قبول القيد من شيم العبدا
هداك الله كيف تطيب نفسى وفى عنقى أرى للأسر قدا
ويا وطنى نبا بى عنك حب وأحياناً يكون الحب ضدا

أجل إن من حب الأوطان ما يكون سعيرا على صاحبـــه، وتلك من

سخريات الدهر ، تحب وطنك حب العـــزة والـكرامة فتـكون هدفاً للنقمة وغرضاً للويلات .

وفى عام ١٩٤٦ م يعـــود الشاعر إلى وطنه فيهتف من أعماق وجدانه فى فرحة غامرة وسرور فياض :

رجع المطوح فى بعاده  عاد الغريب إلى بلاده
الحب يغمر روحـــه  والشوق يلهب فى فؤاده
وبشائر المستقبل الزاهى  تضاعف من جهاده
ليرى حيـــاة حرة  هى وحدها أقصى مراده

وهنا تتجلى عظمة الحب الوطنى المبنى على الحياة الحرة التى هى أقصى مراد الشاعر وأجل أمانيه التى من أجلها وفى سبيلها تحمل ألم النفى واستمرأ عذاب النوى . ويرتفع علم الوحدة الليبية خفاقاً فى الآفاق يملأ القلوب عزة ويغمرها زهواً فيرفع عقيرته محييا تلك الوحدة تحية الشاعر المؤمن بما للوحدة من فوائد ومنافع تدفع عن الوطن العزيز غوائل الانقسام وخطوب التمزيق فيقول :

لمن الملك أو الملك لمن  هو لله وأبناء الوطن
وطن أبناؤه نحن فإن  لم نـكن سادته نحن فمن
لا أرى التفريق فيما بيننا  غير محو أو حياة فى محن

وتتغلغل نظرة الشاعر فى زوايا وطنه فاحصاً ناقداً فيجوس بعقله وقلبه خلال الحياة الاجتماعية،فلايدع عوجاً إلا شجبه ولايرى أمتاً إلا شدد النـكير عليه فى صراحة عنيفة وشجاعة متناهية غير هياب ولا وجل :

لم أبتدئ بعد فى نقدى وإنـكارى  لما أشاهد من ظلم ومن عار
صرخت بالحق فى رفق فضج له  أعداؤه وانطووا منى على ثار
قالوا قد استاء بعض الناس قلت لهم  ( العير يضرط والمـكواة فى النار )
مهلًا رويداً ستأتيـكم كقنبلة  ( ذرية ) تنسف الطغيان أشعارى

## الشاعر الفنان

تألق كالبرقة الخاطفه وجلجل كالرعدة القاصفه
مبين من الحق فى صوته صدى البطش والرحمة الهاتفه

ذلكم هو الشاعر العبقرى (أبو القاسم الشابى) الذى أومض فى سماء الشعر وجلجل فى أجوائه، وكان كالشهاب الثاقب لمع واحترق واختصر مرحلة الحياة فى وثبة جبارة أوفت على الغاية وارتفعت به إلى قمة الخلود وإن من يقرأ شعر الشابى ويلم بطرف من حياته القصيرة المعذبة ليعجب أشد العجب كيف تأتى لتلك الروح الغضة والنفس الرقيقة أن تختزن كل تلك الطاقة الشعرية الهائلة والقوة الفكرية العارمة التى تفجرت بها شاعريته المبكرة وفؤاده الغض كالشلال الصاخب يولد الحركة ويشعل الأضواء .. ولكنها العبقرية التى تصنع المعجزات.

طرق هذا الشاعر باب الوجود عام ١٩٠٩ م وارتفع إلى سماء الخلود عام ١٩٣٤ م فما أقصره عمراً وما أجله أثرا .

ولقد فتح عينيه ودلف إلى رحاب الحياة وفى بلاده العزيزة ووطنه الكريم دخيل أزرق العينين يستنزف من دماء أمتــه الحرارة ويمتص من مشاعرها الإحساس ويوهمها بأنها إنما خلقت لتستعبد وإنما خلق ليسود، فهاله ما رأى وكبر عليه ما شاهد فالتهبت فى دمائه الثورة وتأجج فى كيانه الشعور وأصاخ بوجدانه المرهف ومشاعره المشبوبة إلى صوت الحياة يناجيه من وراء الحجب الكثيفة والأفق الغائم :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليــــل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر
هو الكون حى يحب الحياة ويحتقر الميت المندثر
كذلك قالت لى الكائنات وحدثنى سرها المستتر

هذه القصيدة الرائعة التى تتسم بفورة الشعور وغليان الإحساس ودمدمة العواطف تصور لنا ما كان يعتمل فى فؤاد ذلك الشاعر الألمعى من لواعج اللهفة

ولفحات الأسى وتضع أمامنا قطعة حية من وجدانه المستوقد وقلبه المضطرم لما تعانيه بلاده من مآسى الظلم وكوارث الطغيان . فلنستمع إليه وهو يزأر فى وجه المستعمر بهذه الأبيات النارية من قصيدته إلى طغاة العالم :

ألا أيهـــا الظـالم المستبد حبيب الفناء عــدو الحياه
سخرت بأنات شعب ضعيف وكفـك مخضوبة من دماه
وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الأسى فى رباه
تأمل هنـالك أنى حصدت رءوس الورى وزهور الأمل
سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل

أجل إن سيول الدماء المناضلة فى سبيل عزتها وكرامتها وعواصف القلوب المـكافحة من أجل حريتها واستقلالها ستطوح بالظلم والظالمين ، وسيشهد العالم المتغطرس ـ وقد شهد ـ أعلام الحرية وألوية الـكفاح تخفق فى أجواء التضحية والفداء لتهوى بالاستعمار والمستعمرين إلى مهاوى العدم وكهوف الفنـاء . وستبقى هذه الأهزوجة الوطنية شعلة من شعل الإرادة الحية والعزم المصمم تصك المسامع الصماء وتزلزل تحت أقدامها الأرض فى كل بقعة من بقاع الشعوب المجاهدة لنيل حقوقها المغصوبة وسيادتها المسلوبة .

وهكذا وفى غمرة الصراع الدامى ( فى أفريقيا السمراء ) ينبعث من أعماق الماضى الواعى صوت الشاعرية الثائرة ونداء الحياة المدمدم فى الآفاق المخضبة بالدماء والأرض المـكدسة بالأشلاء لينير للأرواح التـائهة سبيل الوصول إلى حياة الـكرامة ومجد الاستقلال فى قوة وعزم وإرادة وتصميم . . ويمضى الشاعر فى نشيده المفضل وأغنيته الملهمة يوقع على أوتار القلب أرق ما أبدعته الشاعرية الخلاقة والإلهام المبدع ، ثم يلتفت إلى مواكب الحياة الصامتة فى صفوف الشعوب المؤمنة بحقها فى الوجود ونصيبها فى البقا ليعرض لها صوراً حية مما تزخر به الحياة من مناظر الأمل ومشاهد الرجاء ونواميس التجدد وقوانين الانبعاث :

يجيء الشتاء شتاء الضباب | شتاء الثلوج شتاء المطر
فينطفيء السحر سحر الغصون | وسحر الثمار وسحر الزهر
وسحر السماء القوى البديع | وسحر المروج الشهى العطر
ويفنى الجميع لحكم بديع | تألق فى مهجة واندثر
وتبقى البذور التى حملت | زخيرة عمر جميل غبر
وذكرى غيوم ورؤيا فصول | وأشباح دنيا تلاشت أخر
معانقة وهى تحت الثلوج | وتحت الضباب وتحت المدر
لِطَيف الحياة الذى لم يمل | وقلب الربيع الجميل العطر
ويمشى الزمان فتنمو صروف | وتذوى صروف وتحيا أخر
وتصبح أحلامها يقظة | موشحة برداء السحر
وما هو إلا كخفق الجناح | حتى نما شوقها وانتصر
فصعّدت الأرض عن صدرها | وأبصرت النور عذب الصور
ورق نشيد الحياة المقد | س فى هيكل حالم قد سحر
وأعلن فى الكون أن الطموح | حبيب الحياة وروح الظفر

ويختم الشاعر ترنيمته البديعة :

إذا طمحت للحياة النفوس | فلابد أن يستجيب القدر

ونحن لا نريد فى هذه العجالة أن نقف من القضية موقف الناقد الفنى ؛ فإن لذلك مجالاً آخر . ولكننا أردنا أن نستنشى من خلال هذه الدراسة الموجزة أرجاً من عبير النبوغ الفكرى والألمعية الفذة فى صفحة من صفحات الأدب المحلق فى الجناح الأيسر من وطن العروبة الممتد من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى . ومرة أخرى لا بد أن يستجيب القدر ؛ فلن تقف قوة فى الأرض أمام الحق المؤمن والإرادة الصادقة مادام فى قلب الحياة عرق ينبض ولسان يبين . وسلام على الشابى فى الخالدين .

## الألحان المنتحرة

للشاعر حسن عبد الله القرشى

ديوان شعر ملؤه غزل    بين الغوانى بات ينتقل
أنفاسه الحرى تهيم على    صفحاته والحب والأمل
وستلتقى أنفاسهن بها    وتحوم فى جنباته القبل

* * *

لما بغين النوح والشكوى    كل تقول من الذى يهوى
وسترتمى نظراتهن على الصفـ    ـحات بين سطوره نشوى
ولسوف ترتج النهود أسى    ويثيرها ما فيـــه من بلوى

ترنمت بهذه الأغرودة الحلوة لبدر شاكر السياب وأنا أقرأ ديوان صديقى الشاعر ( حسن عبد الله القرشى ) ، ( الألحان المنتحرة ) وقلت لعــله هو الآن وفى اللحظة نفسها يتمنى الأمنية التى تمناها السياب فى قوله من هذه الأغرودة العذبة :

يا ليتنى أصبحت ديوانى    أختال من صدر إلى ثانى
قد بت من حسد أقول له    يا ليت من تهواك تهوانى
ألك الكؤوس ولى ثمالتها    ولك الخلود وأننى فانى

والحق أن بعض الدواوين الشعرية كالواحة الخضراء فى السهل الأفيح، ظل ظليل ونسيم عليل وماء سلسبيل، وبعضها ( كالفنادق) الهادرة فى المدن الزاخرة صخب وضجيج وضوضاء وعجيج . أنت فى الأولى مع نفسك بأشواقها الحالمة وأمانيها الهائمة وأهوائها الطليقة ، وأنت فى الثانية مع الناس فى عنائهم اللاغب وألمهم الناصب ومتاعبهم المرهقة ؛ وشتان ما بين الحالتين وديوان ( الألحان المنتحرة ) واحة من تلك الواحات الخضر التى تفئ إلى ظلها النفس الإنسانية فتنعم بأنفاس الشذى الفاغم والزقزقة الرخيمة ؛ فهو قصيدة حب من سطره

الأول إلى سطره الأخير ، وشعر الحب من أمتع الشعر وأخلده على مر الدهور وتعاقب الأيام . ألسنا حتى الآن نحس بلوعة الأسى وحرقة الجوى حين نستمع إلى جميل بثينة وهو يشدو فى ضراعة محرقة وجوى ملهب :

إذا قلت : ما بى يا بثينة قاتلى من الحب قالت : ثابت ويزيد
وإن قلت: ردى بعض عقلى أعش به مع الناس قالت : ذاك منك بعيد

وقد استوى لصديقى الشاعر فى هذا الديوان من التعابير المشعة والتصوير الزاهى ما ذكرنى بالمرحوم الشاعر على محمود طه فى موسيقيته الرخيمة وألفاظه المنتقاة وأخيلته الرفافة إلى جانب تلك (الرومانتيكية ) التى تغلف مزاج الشاعر ونفسه بوشاحها الشفاف وسناها اللماح ، ومن ذا الذى يستمع إلى هذه القطعة الرائعة من قصائد الألحان المتفجرة فلا يهتز بأحاسيس النشوة والابتهاج :

على ضحكة الشرفة الحالمة لمحتـــك كالوردة الباسمه
ترقرق فى وجنتيها الضياء وأزهى بجبهتك الناعمه
وفى صدرك انبثق الناهدان يطلان من فجوة فاغمه

وأما أنا فما ينقضى عجبى من هذه الصورة البيانية الجديدة (الفجوة الفاغمة) التى يطل منها الناهدان فى تشوق وانطلاق؛ تلك الفجوة الفاغمة بأذكى الروائح وأشذى الطيوب . وما أرقها عشا لقلب شاعرنا الرقيق ومهداً لروحه الحالمة ، على أننى أرجو لو كان البيت الثانى هكذا :

ترقرق فى وجنتيك الضياء وشع بجبهتك الناعمه

بدل كلمة ( أزهى ) ؛ فإن كلمة ( شع ) أنسب من كلمة ( أزهى ) ثم ينتقل إلى قصيدة ( ضياع ) هذه القصيدة التى تتنوع فيها القافية لتساير خواطر الشاعر وانفعالاته . وما أعذب هذه القطعة الفنية التى تموج بالشذى والظلال :

وإذا شممت بأزهار الحديقه زهرة فواحة العطر أنيقه

قلت : كانت لى بالأمس صديقه حلوة شفافة السحر رقيقه
تعشق الزهر وتستجلى بريقه وهى جافتنى فهل لى أن أطيقه

إن القرشى شاعر عاشق ، وإذا اجتمع الشعر والعشق فى قلب فقد اتصلت الشرارتان السالبة والموجبة، وأضيئت دنيا الشعر بكهرباء تمنحها طاقة هائلة من البريق والإشعاع . وهل كان الشعر فى ماضيه وحاضره إلا أرغولا فى هيكل الجمال وبلبلا فى خمائل الوجدان؟! إن هذا الديوان ـ كما يقول الأستاذ ( عبدالله عبد الجبار ) فى مقاله المنشور فى جريدة البلاد رقم ١٥٧٩/٢٧/١١/٨٣ هـ ـ يحمل بين ثناياه قصة غرام عاشها شاعر زاده الخيال والأمل . عاش الشاعر هذه القصة عامًا ونيفا ، وما زال حتى هذه اللحظة تتقد جمراتها بين جنبيه حتى بعد أن تحطم هيكل هذا الغرام وما زال رماده الآدمى على حد تعبير ناجى يبكى على حطام غرامه . عاش الشاعر فى دوامة هذا الحب العنيف يلتهم لذاذاته وينعم فى سبحاته ويهيم فى أوديته الفينانة . عاشها ألحانا هامسة ناعمة حينا صاخبة حينا آخر .

وفجأة شارفت الألحان نهايتها أو كادت ، أو كما قال الشاعر : إنها انتحرت ولكنها لم تضع ، بل كان هذا الديوان الجميل ( ألحان منتحرة ) . . وبعد فقد قلت فى حديثى آنفا : إن بعض الدواوين كالواحة الخضراء فى السهل الأفيح : ظل ظليل ونسيم عليل وماء سلسبيل . وهذا الديوان واحة من تلك الواحات التى تفىء إليها النفوس المكدودة فتجد فى ظلاله الراحة والمتعة والصفاء .

ولقد كنت أوثر لصديقى وهو الشاعر المطبوع ذو السليقة العربية السليمة أن يربأ بنفسه عن ذلك الكلام الذى يسمونه الشعر الحر تارة أو الشعر المنثور تارة أخرى ؛ لأن من يستطيع التعبير عن خلجاته بأصول الفن الرفيع هو فى غير حاجة ، ولا شك ، إلى مسايرة العاجزين الذين يعجزهم النظم الرصين فيتكئون على الكلام الهجين ويحسبون بذلك أنهم من المجددين .

## تعقيب على تعقيب

قرأت فى العدد الثانى من مجلة الرائد الغراء مقال الأستاذ عبد الله أحمد شباط حول مواد العدد الأول من المجلة المذكورة ، وقد استرعى انتباهى فى ذلك تعليقات الأستاذ على القصائد المنشورة فى العدد المذكور للشاعرين : صالح الأحد العثيمين وعبد السلام هاشم حافظ ، فقد قال الأستاذ شباط ـ فى مقاله هذا ـ عند تعليقه على قصيدة (صالح العثيمين)، قال: وقد وقفت عند كلمة (جواء) محتاراً فيما يقصد الشاعر ، لعله أراد أن يقول ( أجواء ) يضج فيها الخصام . فلم يستقم له الوزن فذهبت الألف ضحيةللوزن ، أو لعلها سقطت مطبعيًّا فترحموا عليها ، إلا أن ذلك لم يضر بالقصيدة ولا يقلل من روعتها الخ ) والحق أننى وقفت طويلا عند هذا التعليق ، فناقد كالأستاذ شباط لا أعتقد أنه يحتار فى صحة كلمة متداولة ومعروفة ، لأن كلمة ( جواء ) هى كلمة جمع ومفردها ( جو ) وتجمع على ( جواء ) و ( أجواء ) ؛ يقول شوقى فى قصيدته المشهورة :

يا فرنسا نلت أسباب السماء      وتملكت مقاليد الجـــواء

أما لو أن الشاعر أضاف ( الألف ) التى افتقدها الأستاذ وترحم عليها لكنا ترحمنا على البيت بكامله للزحاف الذين سيقع حينئذ فى الشطر الأخير منه فى تلك الأبيات المعنية بالنقد وهى :

عجبا للأنام فى هذه الأرض      يعيشون حيث شاء الظلام

بين سود من النوازع شىء      و (جواء) يضج فيها الخصام

فلو كان الشاعر جعل كلمة ( أجواء ) كما يريد الناقد محل كلمة ( جواء ) لاحتجنا إلى عملية بتر ( الزائدة الألفية ) لنعيد للشطر صحته واتساقه ، وفى البيت التالى من نفس القصيدة وهى :

عاقه كونه ضعيفاً فأمسى      يسند الضعف فهو عقل حطام

ويعلق الأستاذ الناقد على هذا البيت فيقول : ( ولعل الشاعر أراد فى هذا

البيت الأخير أن يقول عقل محطم أو حطام العقل فتقدم المضاف إليه على المضاف على الطريقة الانكليزية لتستقيم له التغريدة الحلوة ) . ونود أن نقول للأستاذ الناقد : إن تعبير الشاعر تعبير صحيح المعنى والمبنى ، وليس هناك طـــريقة انكليزية . بل المسألة موصوف وصفة ؛ فالعقل موصوف وحطام صفة وجائز تركيب الصفة من اسم المصدر لاسيما فيما يدل على الداء والمرض كقولهم (داء عضال) و ( رأى خبال ) وغير ذلك .

ويقول الأستاذ عند تناوله لقصيدة الشاعر ( عبـــد السلام هاشم حافظ ) وعنوانها ( الفجر الراقص ) فقد حشرها الأستاذ الكريم بتعابير جديدة أهمها عنوان القصيدة ( الفجر الراقص ) لقد وقفت عند هذه العبارة طويلًا لأتصور فجراً يرقص . فإن كان الفجر هو ما قبل ( انبزاغ ) الضوء فمن الخطأ أن نسميه راقصاً لأنه فى ذلك الوقت يكون فى غاية السكون . . وأنا أوافق الأستاذ على كلمته هذه وأضيف إليها أن كثيراً من الكلمات يستعملها شعراؤنا ولا هَمَّ لهم إلا تقديم ألفاظ براقة لا تمت إلى معانيها بأية صـــلة إلا صلات الإغراب والتهويل . ولكنى أحب أن ألاحظ أن الأستاذ شباط استعمل كلمة (انبزاغ) كمصدر للفعل الثلاثى المجرد من ( بزغ ) وهو استعمال غير صحيح أو شاذ . والصحيح هو أن العبارة هكذا : فإن كان الفجر هو ما قبل بزوغ الضوء الخ ثم يستمر الناقد فى تعليقه على هذه القصيدة فيقول فى نقده لهذا البيت وما يليه :

نهزة طافت بآفاقى وعرت صدرها بين الورود
شمت فيهـــا بهجة النور وعطر القلب والحب الوليد

فيقول : ( ولكن الفجر لا يرقص ؛ فإن النور لا يشم إلا أن الشاعر أراد أن يشم النور مع الطيب ؛ لأن النور يرى بالعين والطيب يشم بالأنف إلا أن تكون الحساسية واحدة لدى بعض الناس الخ ) ونحن نقول للناقد : إن كلمة ( شمتُ ) فى هذا البيت لا يراد بها المعنى الذى ذهب إليه وهو الشم ؛ إذ لو كان

ذلك مراد الشاعر لـكان صحة الـكلمة ( شممت ) لا ( شمت ) وفرق بينهما كبير يا أستاذ ؛ والشاعر يقول إنه ( شام ) أى رأى بهجة النور وعطر القلب والحب الوليد ، وبهذا يزول الالتباس فى فهم هـــذا البيت وتفسيره . ويمضى الناقد فيقول :( أما كلمة نهزة فقد احترت أمامها لأن معناها حركة يأتى بها الإنسان غير أن الشاعر أراد لها أن تتحرك دون إنسان . فمن أتى بهذه الحركة التى يراها الشاعر ) ؟ .

والحق أننى كنت أولى منه بالحيرة ، فقد حيرنى منه تفسيراته المغلوطة لمعانى الـكلمات ، ورجعت إلى القصيدة أقرؤها جيداً خشية أن يـكون فهمى لهذه الـكلمة التى راغ لها الأستاذ شباط نقداً وتجريحاً فهماً مغلوطاً فلم أجد أمامى إلا ما يدل على صحة الـكلمة وسوء فهم الأستاذ لمعناها .

ومرة أخرى أقول : إن كلمة (نهزة) ليست كما فسرها الناقد بأنها حركة.. إن ( نهزة ) معناها ( فرصة ) والشاعر يقول : إن هذه الفرصة طافت بآفاقه وعرت صدرها بين الورود وإذا أصبح هذا واضحاً أصبح نقد الأستاذ لهذا البيت نقداً غير ذى موضوع .

وبعد ، فشـكراً لمجـــلة الرائد لهذا التقليد الجديد الذى أدخلته على مجلتنا الأدبية حين وضعت أمام قرائها ( فرصة ) إبداء آرائهم ومشاعرهم فيما تقدمه المجلة من فن وأدب تنعكس على مرآتها صور من الشاعر والأفـكار فى باب ( قرأت العدد الماضى من الرائد ) كما تفعل مجلة (الآداب) اللبنانية ، وهى ـ أعنى الرائد ـ لو استمرت على هذا المنهج والتزمت به حرى بها أن توجد فى حياتنا الأدبية وعالمنا الفـكرى نشاطاً جمًّا وحركة بناءة ، والرائد لا يكذب أهله . وللأستاذ عبد الله شباط تحياتى وتقديرى .

## المجهـــولة

### ملحمة غرامية للشاعر السورى على دمر

فى ( حنين الليالى ) قرأنا للأستاذ الشاعر ( على دمر ) صفحات رائعة من شعر العروبة الأصيل وبيانها الخالد ونعمنا بنفحات عاطرة تملأ النفس رضى وتغمرها غبطة ، وصافحنا بحرارة جنديا من جنود الطليعة فى الصورة الأمامية من رعيل الشعر العربى البـــديع يضع كل ما لديه من أسلحة بيانية وذوقية وذهنية فى معركة الدفاع عن تراثنا الأدبى العظيم وقيمنا الفكرية الكبرى - وعندما تفضل الأستاذ على دمر فأهدانى مشكوراً ديوانه الجديدة ( المجهولة ) تداعت إلى نفسى أفكار شتى ومشاعر بيانية تدفعنى فى قوة وإصرار وتعيد إلى فكرى صدى النفحات الحالمة من ذلك ( الحنين ) الذى سكبه رحيقاً مصفى فى ديوانه القديم ( حنين الليالى ) أترى الشاعر ما زال فى متاهة حنينه النفسى ولهفته الحائرة لم يصل بعد إلى ( ليلاه ) أم أن ( المجهـــولة ) هى بعض ما تهفو إليه نفس شاعرنا من أمانى غاليات وآمال كبار . أما أنا فلا أستطيع أن أجيب على شىء من هـــذا التساؤل ، ولكنى أستطيع أن أقول : إن شاعر ( الليالى ) لمـــا يزل فى حنينه الصادى وأشواقه العطاش يجنح إلى موارد الأمانى ومناهل الآمال كما يرف الطائر الوجـــل على السراب الرقراق فى الصحراء الملهبة ، فما تبصر عيناه إلا الهجير اللافح والسموم المحرق فيعود أدراجه محلقا فى سمائه العلياء يرتاد الذرى ويسبح فى الأفق لعل نطافاً صافية أو سحبا رَوحى تمس أجنحته المحترقة بقطرة ترطب أنفاسه العطاش وتبل فؤاده الظمآن ؛ ومن أجل ذلك صدّر ملحمته الغرامية بهذه الأبيات :

أنا فى حربى المرير مع الشر     أغذى من اللهيب كفاحه
فإذا ما تعبت فيه عراكاً     فلأجل النشاط هات استراحه

شعرك العذب بالحنين مدام    فأدر لى قبل الردى أقداحه
أنا فى حومة الصراع هجير    هات من شعرك المرطب واحه

أجل إن ( المجهولة ) ، وهى شعر غرامى بحت يكشف عن خلجات الشاعر المكتومة وعواطفه المكبوتة ، ( استراحة ) يعقبهـا تحفز جاد وتأهب فعال فى حومة الصراع المرير مع شياطين الشر وأبالسة الظلام . فلا ضير على الشاعر أن يستريح هنيهة فى ظل دوحة غناء من شاعريته الفياضة يعزف فيها ( للحبيب المجهول ) أرق أنغام الحب وأعذب ألحان الهيام . .

وأحسب أن الشاعر رأى أن ما قدمه بين يدى أناشيده من معاذير ومبررات غير كاف ، فهتف من أعماقه بما يضج به قلبه من أسى دفين وألم مكبوت فصرخ فى أول قطعة من هذا الديوان :

نظرت لواقعى ففزعت منه    مآسى لا تحـــبر فى مقال
رنوت لواقعى فهربت منه    إلى كون زهىٍّ فى خيـــال

وعندى فى هذا التكرار ملاحظة أحب أن ألفت نظر الشاعر المبدع إليها وهى أن الشطر الأول من القطعة فى البيت الثانى منها أفقد السياق اللفظى أهم خصائص الالتحام والتماسك ، إذ أصبح جائزا تقديم أحد البيتين على الآخر بدون أن يشعر القارئ بالمفارقة اللفظية ، ولو أن الشطر الثانى كان هكذا :

رنوت إليه ثم فزعت منه    إلى كون زهى فى خيال

لكان أجزل وأوثق . أليس كذلك ؟ وفى هذه القطعة يقول :

أسائل شقوتى وظلام نفسى    ألا فجر لمعتوه الليالى
وبى قرف لرؤية كل شىء    تعالى اليوم ياروحى تعالى

ولكنها لاتجيب ، وإنما تمضى فى غلو وكبرياء إلى عالمها المحجب ودنياها المستورة ، فيتوسل إليها بهذه الأبيات اللطاف .

كم توسلت بالصباح المندى    بنسيم الأشجار والأوراد

كم تغلغلت فى الرياض شروداً ... وتلفعت بالضياء والسواد
فى الضحى والمساء والليل نفسى ... تمتلى خوافى الآماد
سائلا عنك كل عطر وفجر ... منشداً فيك أعمق الإنشاد

إلى أن يقول :

أنت راضية المشاعر أم ... من مرتقاى الملون الأبعاد
أنت مثل النساء دنيا رياش ... ولآل وزينة وعناد
ليس فيهن غير حمقاء تبغى ... رجلا خادماً لأى مراد

وتجلى لنا فى هذه الأبيات أن الشاعر يتحدث عن المجهولة (حديثا) ممزوجاً بالدهشة المرة للواقع المهين الذى انحدرت إليه المرأة العربية انحداراً أساء إلى فضائلها العليا ومثلها الرفيعة، وهوى بها إلى أحط دركات الرذائل وأعمق مهاوى التحلل مدفوعة إلى ذلك بطبائعها الأرضية المخدوعة ببريق اللآلى ولمعان المساحيق بشكل أفقدها أعز خصائص الجمال الطبيعى وأعلى سجايا الجلال الخلقى ؛ فهى لا تريد رجلاً إلا خادما لأى مراد . ونحن نرى أن المرأة التى يتوسل إليها الشاعر بالصباح المندى والنسيم الفواح مازالت جنيناً محجبا فى ضمير مستقبل المرأة العربية المسلمة المرباة تربية ( لؤلؤية ) ، كما يقول الرافعى ، حينما ترتشف من مناهل العلم ما يشفيها من العلل ومن منابع الدين ما يقيها الزلل . وتحية للشاعر فى ( حنينه ) الموصول و ( حبيبه المجهول ) .

## جوهرة الجواهري

محمد مهدي الجواهري شاعر فحل من أعلام الشعر العربي المعاصر وأقطابه البارزين ، وهو مفخرة من مفاخر العراق العربي خاصة ، والعالم العربي عامة: يمتاز شعره بالجزالة وقوة الأسر وفخامة التعبير وفنية التصوير: قرأت قصيدته في رثاء ( عدنان المالكي ) البطل السوري ، فكانت في نظري جوهرة من جواهر الشعر الوطني الحديث ذات بريق لماع وإشعاع باهر أخذت تتخايل له من وراء كل سانحة من سوانح الفكر وخلال كل خطرة من خطرات الشعور، واستمرت بإغرائها الساحر وبريقها الآسر تتمثل لعيني في كل ما أقرؤه من شعر جيد وبيان أصيل فانصرفت انصرافا قويا إلى معاودة قراءتها والترنم بأبياتها في لذة لذيذة وإعجاب عجيب . أما تلك الرائعة التي أعجبت بها كل هذا الإعجاب واستحوذت على خاطري كل هذا الاستحواذ فهي – كما أسلفت آنفاً – قصيدة ( رثاء عدنان المالكي ) التي تمتاز بحسنها العاطل من زخارف الصنعة وبهارج التكلف وتسمو بأسلوبها البارع إلى أرقى قمم البيان المشرق والخيال الشرود : وقد نشرت هذه القصة في مجلة ( الأحد ) اللبنانية في أبرز صفحة من صحفها الناصعة وبحروف كبيرة تنطق عن إكبارها للشاعر وإعجابها بالشعر .

قلت : إن القصيدة نظمت رثاء في الشهيد ( المالكي ) ولكن القصيدة لم تقف عند هذا الحد من الرثاء الدامع والحسرة الباكية، وإنما كان الرثاء وسيلة لا غاية – وأما بعد ذلك فالقصيدة انطلاق شاعر محلق لمشاعر حبيسة وعواطف كظيمة وجدت متنفسها الواسع ووسيلتها السانحة في ذكرى الاستشهاد البطولي فانطلقت من بين حنايا الشاعر كالصاروخ تضج باللهب وتتأجج بالسعير وتصرخ في وجه الطغاة صرخات حادة تنبعث من أعماق الوطنية الصادقة والإيمان العميق. ولا عجب ولا غرو فالجواهري من أولئك الشعراء القلائل الذين وقفوا فنهم المجاهد وأقلامهم المكافحة في وجه كل مستعمر وضد كل دخيل. وفي لهفة

دامعة وأسى عميق ينبعث الجواهرى مشبوباً بالفجيعة مغلفاً بالدموع صارخا من أعماقه :

ترنحت من شكاة بعدك الدار ... وهب بالغضب الخلاق إعصار

وأرعد الوطن الغالى ، وقد ثقلت ... عليه مما جنى الجانون ، أوزار

واستصرخت حلبات السبق فارسها ... وقد هوى وانتحى شوط ومضمار

ومر طيفك بالفرسان فانعقدت ... عليه كالحكم المخمور أبصار

إلى أن يقول :

تبنى الحياة وتختار الرجال ومن ... ورائها الموت يدرى كيف يختار

فى هذه الدار إيثار وتضحية ... وفى ذرى الخلد جنات وأنهار

وبعد أبيات عامرة بالرأى الحصيف والفكر الثاقب والحكمة البليغة يستأنف الشاعر ملحمته الجبارة فيندفع مشيداً بالقوة فى أشكالها المتنوعة ومظاهرها المتعددة ، ويخص منها القوة العسكرية بهذه الأبيات القوية :

وأنت ياجيش عدنان أعز خلدى ... بشعوب زنك تخلد فيك أشعار

يا دافع الخطر الملقى بكلكله ... على العروبة لا مستك أخطار

لولاكمو لم يجد رمزاً له علم ... ولا تذوق طعم الدار ديار

سور تملق حبات القلوب به ... فهن وهى سياجات وأسوار

محلقين بصمت والردى لغة ... قوادم أفصحت عنه ومنقار

على الحدود بحيث الورد ذو صرد ... صدر تفجر نبع منه فوار

وثم فى الجبهات السود متربة ... عليا جباه تمنى لثمها الغار

صبراً وإن ملت الأسياف أغمدة ... إن الأمين على العقبى لصبار

لابد أن يسترد الفتح خالده ... وأن يطل على اليرموك ضرار

تمرغ الثأر إذ هيضت جوانحه ... واليوم ينقض مثل الأجدل الثار

على الخليجين سفاح سندركه ... وفى الجزائر رهن الكف جزار

وثالث هو من خبث ومن ختل ... شر الأثافى لا قدر ولا نار

وما إن يصل الشاعر إلى هذا المدى الفسيح من آماله الواسعة وعواطفه الجياشة فى سحق المستعمرين والدخلاء حتى يقف قمة التأمل الشاعرى يرمز إلى مواطن الرجاء ومعاقد الآمال فى الوطن العربى الموحد . فيثبت بصره بعد جولة من جولات التشوف المضنى والتطلع الواجف على شعلة من شعل العروبة المؤمنة بحتها فى الحياة الحرة والاستقلال الطليق ، فيواصل هتافه المدوى :

وفى ذرى القدس مسخ ساء خالقه — أن تحتمى بحمى الأقداس أوضار
يأبى ( الجهاد ) ويأبى طائف بمنى — والله والبيت والصديق والغار
هنا بجلق عملاق على بردى — وثم فى مصر يحمى النيل جبار

أجل يأبى زعماء العروبة وتأبى الجبهة العربية الموحدة أن تفسح الطريق لمروجى الدسائس ودعاة الفرقة ، وتقف الأمة العربية بإيمانها القوى وعروبتها المناضلة كالطود الشامخ دفاعاً عن الحق والخير والسلام .

وينغمر الشاعر بعد هذه الصيحة المجلجلة فى فيض من شماع الاعتزاز القومى والاعتداد الوطنى فتندفق شاعريته الفياضة بهذا اللحن الرنان :

يا أمة يومها من أمسها عبق — لله فى غدك الموعود أسرار
شئنا الأذى أو أبينا إنه ثمـر — فيه لنا ولمن يبغيه إمـرار
لم يعرف الدهر مثل العرب من صبر — بهم على الضر إلحاح وإصرار
ما خائفون ازديار الموت عن رفه — كعاطشين همو للموت زوار
نحن الذين أعرنا الـكون بهجته — لـكنما الدهر إقبال وإدبار
تنفست رئة الدنيا بنـا ومشى — فيها نسيم يهز النفس معطار

ولا أدرى؟! لماذا ما تلوت هذا البيت الأخير من هذه القطعة الفذة إلا شعرت بإحساسات سامية فى نفسى تهتز لها روحى ويتألق بها وجدانى فى نشوة غامرة تنسكب من هذا الإبداع الفنى الذى تنطوى عليه هذه الطاقة التعبيرية الماثلة والتصوير الرائع فى هذا البيت الفريد :

تنفست رئة الدنيا بنـا ومشى — فيها نسيم يهز النفس معطار

ثم يمضى الشاعر فى التغنى بأمجاد العروبة وتاريخها الخالد فيقول :

هنا اكتست حقب ألوانها وبنا     رفت على الصور الجرداء أطيار
وذوبت فى بنات الضاد أنظمة     وفلسفات وآراء وأفكار
إذ الثقافات أشتات نجمعها     كالشهد يجمعه نحل ويشتار
وإذ جنى الفكر معسولا يذوبه     طرس وينفخه عود وقيثار
وإذ حمى الدين مأهولا تراوحه     أئمة وبطاريق وأحبار
تصرمت نشوات ما يزال لها     صبابة يغتذى منها وأسآر
شدنا الحياة وكوفئنا الممات كما     شاد الخورنق كى يجزى سنمار

وبعد هذه الأبيات وأبيات أخرى تتضوع بالمجد وتشع بالفخار يأخذ الشاعر نفساً طويلًا فيقارن بين المدنية العربية المنبثقة من رسالة الحق والعدل والجمال وبين المدنية الغربية المنقذفة من أفواه المدافع وأشداق الصواريخ ثم يفجر قذيفة الإنذار النابعة من صميم الواقع العربى المكافح فيقول :

دال الزمان فليس الشرق مزرعة     فيها غلال وألبان وأبقار
تمخض الكون وامتدت يد دفعت     بها عن المارد الشرقى أستار
وراح يحفر قبر الغرب حفار     ويستجد له التابوت نجار
والحق مطرقة يلوى القوى بها     وكل شعب سليب الحق مسمار

أجل أيها الشاعر العبقرى لقد دال الزمان ورجحت كفة الميزان . ومن هنا من الشرق العاطر بأنفاس الرسالات الإنسانية الخالدة تتطلع البشرية المعذبة إلى ميلاد فجر جديد يتألق بالإخاء والحب ويفيض بالخير والسعادة والسلام .

وإن من حق الشاعر علىّ وقد وصلت إلى هذا الحد من قصيدته العصماء أن أسجل اعتزازى وفخرى بهذه الشاعرية الأصيلة التى لم تتنكر لماضيها ولم تتخلف عن حاضرها والتى أثبتت أن الشاعر العظيم ، ولو نظم فى قوالب الشنفرى ونسج على منوال امرىء القيس ، يظل فى كل ذلك شاعراً عظيماً .

قد فاتهم أن الحلاوة سرمد     ومذاق طعم الشهد لن يتغيرا

# رسالة أدبية

عزيزى الأستاذ :

لقد تابعت بعناية وتقدير ما كتبته فى جريدة ( البلاد ) رقم ٧٦٦ فى ٣ / ٣ / ٨١ ، ورقم ٧٧٣ فى ١٣ / ٣ / ٨١ عن ديوانى ( القلائد ) ولست أدرى أمن أنصار الشعر الأصيل أنت أم من أنصار الشعر الدخيل الجديد . وإن كنت قد استشفيت من تعليقك على المقدمة التى كتبها الأستاذ الكبير عبد القدوس الأنصارى أنك من أنصار الإصالة والحيوية الفنية فى حدود القيود الأدبية لا من أنصار الشعر ( السائب ) والفوضى اللفظية .

وإذا كان لكل فن قيود وقيم يعد الخروج عنها تشويها لذلك الفن وتخريباً لأصوله فإن من أجمل قيود الشعر العربى قيود الوزن والقافية التى لا يسمى الشعر شعراً إلا بتوافرها . وكل تملص منها وانفلات من قيودها بحجة ( التجديد ) فى الشعر والخروج به من حواجز الرقابة والجمود كما يزعم المجددون إنما هو نوع من أنواع العجز الفنى والضعف الأدبى .

لقد لاحظت بعض تعليقات عابرة جاءت فى سياق نقدك لبعض أبيات من قصائد الديوان : رأيت من المفيد تبيان رأيى حولها إمتاعاً للقراء بهذا النقاش الأدبى الممتع وتصحيحاً لبعض المفاهيم .

من ذلك تعليقك على هذا البيت من قصيدة الجنوب الخصيب :

إذا لمع البريق على سمـــاها  جرى الوادى وسال بها شعابا

فقد علقت على هذا البيت قائلا : ( وكلمة ) جرى الوادى مستقيمة فى معناها وكلمة سال كذلك مستقيمة لكن كلمة شعابا غير مستقيمة لأن السيل يجرى من الشعب إلى الوادى وليس من الوادى إلى الشعب ، وهذا مايفهم من عدم تأنيث ( سال ) .

ألا ترى يا عزيزى أن هذا النقد يحتاج إلى نقد . ألا يجوز أن يتفرع مجرى الوادى ( جداول ) كثيرة و ( شعابا ) غزيرة . إن المعنى الحرفى لـكلمة (شعابا) هو الذى قصدناه فى هذا البيت، وهو من الوضوح بحيث لا يخفى على فطنة القارئ اللبيب فضلا عن المثقف الأديب . ولا يصح لنا تأنيث كلمة ( سال ) ونحن نريد الرجوع بفاعلها المستتر إلى ( الوادى ) المتشعب ، وتقول أيضا : والشاعر بعد ذلك يهتم ويحافظ على المحسنات البديعية حتى ولو كان فى ذلك مايصدم الذوق.

عذارى لم يفضّ لهن ختم ولا كشف النقاب لها نقابا

فأهمل المعنى الواضح ليأتى بهذا ( الجناس ) الذى لا يصح فى هـذا العصر الذى تغيرت فيه المفاهيم الأدبية .

يا لله ما أشد وقع هذا الـكلام على قلب اللغة العربية وما أقساه ، ولـكأنى أسمعها تنشد :

إذا محـــاسنى اللاتى أدل بها كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر

أجل إن من محاسن اللغة العربية ومتانتها تلك الخصائص التى تفردت بها من بين سائر لغات العالم ، ومن هذه الخصائص قدرة اللفظ الواحد منها على أن يعطيك ما تشاء من ضروب المعانى ودلالات الشعور ، و ( الجناس ) يا صديقى خصيصة من أجمل وأروع خصائص لغتنا الشاعرة : أجل الشاعرة بأفعالها ومصادرها وحروفها ، ولم يكن الجناس فى الشعر شيئاً ممقوتا أو ممجوجاً إلا إذا جاء تعسفاً وتـكلفاً ، أما إذا جاء عفو الخاطر ووحى الشعور فهو مما يجمل للتعبير الفنى حلاوة وطلاوة . . إن كلمة ( النقاب ) الأولى فى البيت المذكور هى مصدر الفعل ( نقب ) وإذا أردت تصريف هذا الفعل ( قلت نقب ينقب نقباً وتنقيباً ونقاباً ) هذا من جهة ، ومن أخرى فإن ( النقَّاب ) فى اللغة هو الرجل العالم بالأشياء والـكثير البحث عنها : والشاعر القدير إذا وجد كلمة من كلمات اللغة غنية فى معناها ومبناها وهى تتساوى مع الصـــورة الشعرية

وتضفى عليها ظلالًا وأشعة فمن العقوق والجحود أن يتركها ليستبدل بها كلمة أخرى لا تقوم مقامها ولا تضىء ضياءها . وعلى هذا الأساس نجد أنك إذا رجعت إلى البيت :

عذارى لم يفضّ لهن ختم     ولا كشف النقاب لها نقابا

بعد أن بينت لك وجه ( الشاعرية ) فى استخدام تلك اللفظة أول ستجد لمعناها جمالًا وللفظها حلاوة تمتع الذوق وتهز الإحساس : . والجناس بعد كل ذلك وقبله قد ورد فى أشرف كتاب على وجه الأرض وهو القرآن الكريم يقول تعالى : ( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ) ، فتأمل هذا الجمال الفنى الرائع ، فى هذه الآية الكريمة، ولو أردنا أن نستشهد بما تزخر به لغتنا العربية فى شعرها السامى من كلمات الجناس لضاق بنا المقام .

ونقول عن هذا البيت من قصيدة ( العالم العربى ) :

تأبى العروبة أن تكون مطية     لتنــــازع النزعات والأهواء

إنه شعور عربى مخلص لعروبته ، والأمة العربية جديرة بما قاله شاعرنا وغيره من شعراء العربية الذين لم ينسوا ماضى أمتهم ومجدها فشاركوا بنتاج قرائحهم فى آمالها وآلامها غير أن كلمة لتنازع النزعات لم تناسب جوهر القصيدة، فلو أتى بكلمة غير تنازع الأولى لكان البيت من أروع أبيات القصيدة ) .

وأعتقد أن ما سبق إيضاحه هنا عن سر استخدامى لكلمة ( ذاب ) كاف للرد على هذه الملاحظة : وأضيف إلى ذلك أن هذا البيت لا يكون رائعا إلا بتجاوز هاتين الكلمتين فيه وهما ( لتنازع النزعات ) . . ومعلوم أن (النزعة) هى الطريقة والرأى والمذهب ؛ تقول : فلان ينزع إلى كذا وله نزعة إلى الشىء الفلانى أى ميل خاص . وهذه القصيدة نظمت إبان التيارات السياسية التى غمرت العالم العربى عند قيام ( حلف بغداد ) وما تلا ذلك من انقسامات فى البلاد العربية أدت إلى ( تنازع ) فيما بينها حيال تقرير موقفها من تلك

التيارات المتضاربة (الأحلاف . الفراغ . الحياد الخ) كل ذلك نتيجة (النزعات) التي يبثها الاستعمار بشطريه شرقياً وغربياً .

وأما ملاحظتك عن الأخطاء والسقط في بعض الألفاظ ، فقد عرفت أنت بفطنتك أن مرجعها إلى عدم العنـــاية بالتصحيح . ما دام صاحب الديوان ( كاتب هذه السطور ) قد رجع من القاهرة إلى جازان قبل أن يضع اللمسات الأخيرة على (بروفاته) المهيأة للطبع النهائي لا سيما وأن الشعر به الفنون الأدبية التي يحتاج تصحيحها إلى مصحح له حظ من أدب ونصيب من ثقافة . على أن بعض تلك الأخطاء المطبعية لا تخفى على فطنة القارئ اللبيب مهما كان موقعها من التحريف ، ولك تحياتي وتقديري .

## الأنصاريات

### ديوان شعر الأستاذ عبد القدوس الأنصارى

صديقنا الأستاذ الكبير عبـــد القدوس الأنصارى شخصية أدبية بارزة وجبهة فكرية عالية ، تعمل فى حقول الأدب على اختلاف فنونه وألوانه بروح متبتلة وقلب متصوف ؛ فلا يحفل بالدعاية ولا تستهويه أضواؤها، لا يغتر بمدح ولا يرتجف من قدح ، عرف حقيقة نفسه فقدرها واستقر على هذه الحقيقة كالطود الشامخ ذروة شماء وأساس ثابت ، والأديب متى عرف حقيقة نفسه أصبـــح كما قال الشاعر :

ومتى درت نفسى حقيقتها سمت عن خادعات النقد والإطراء
لم يزهنى مدح المحب ولم يكن قدح العدو يغض من خيلاء

ومع ذلك فإن صداه الأدبى وشهرته الفكرية قد تجاوزت حدود عالمنا المحلى إلى آفاق عربية رحبة لها وزنها ومقامها فى عالم الفكر والثقافة ، وها هو الأستاذ الدكتور المعروف ( محمد عبد المنعم خفاجى ) فى كتابه ( من تاريخنا المعاصر ) يقول عن الأنصارى : ( إنه رائد من رواد الأدب الحجازى الحديث ودعاة التجديد فيه : أديب عالم باحث مؤلف،أثر فى الفكر الحجازى والعربى تأثيراً كبيراً، ومجلة المنهل هى جامعة كبيرة يتزود منها الشباب السعودى بقسط كبير من المعرفة والثقافة ) . ويتحدث صاحب كتاب ( المرصاد ) الأستاذ السيد هاشم الغلابى عن الأنصارى وأسلوبه ، فيقول : ( هو الشخصية الوقور ذات الكلام الموزون الذى لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً فى أداء المعنى الذى يريد، وهو فى كتابته مثله فى كلامه مثله فى شعره، وهو رائد من رواد الأدب الصحيح الذى لا يأخذ بالبهرج ولا يؤخذ به ، ينفذ إلى الحقائق دون أن تخدعه التهاويل ، إنه أسلوب هادئ الانسياب فى يسر وسهولة، يمتاز بتصويره الجميل الذى لا يزدحم بالألوان الزاهية ، وإنما هو على قدر وبميزان،وهو أسلوب فصيح جميل العرض

سليم الأداء أشبه بالنافورة التى ينبعث منها الماء بميزان فتعطيك منظراً جميلا كالشجرة المتهدلة الأغصان ، وكما أن غير النافورة لا تستطيع أن تريك الماء فى شكل الشجرة المتهدلة ، فليس فى أدبائنا من يريك هـذا الأسلوب القوى البارع إلا الأنصارى،يكره التهويل ولكنه يحب الأناقة الموزونةالتى لاتضايق صاحبها ولا تقعده عن حرية حركاته وسكناته ) .

هذا هو الأنصارى فى رأى نقاد الأدب ودارسيه ومؤرخيه ، ولقد عرفناه أديبا يعمل فى مختلف حقول المعرفة والثقافة والأدب، فهو باحث لغوى يصحح السقيم ويقيم المعوج ويؤصل الأصيل وينفى الدخيل بالحجة والبرهان لا بالجدل والعنفوان ، وهو مؤرخ محقق يزن الحوادث ويعلل الوقائع ويستنتج الأسباب، وهو كاتب اجتماعى يشارك فى معركة البناء بالفكر النير والرأى السديد ، ويسهم فى ميادين الإصلاح بالنظرة الثاقبة والعقل الرشيد ، عاملا نشيطا يستهدف الإصلاح ويشيد بالمصلحين ، وهو آثارى منقب يعتز ببلاده ويفخر بأمجادها التليدة وحضارتها الجيدة، ولسنا نريد فى هذه الكلمة العجلى أن نقدم عنه شيئاً جديداً فى هذه النواحى الفكرية المتشعبة ، ولكنا نريد أن نكتشف ( الشاعر المجهول ) الذى ظل ردحا من الزمن يرسل نبضات قلبه وخلجات حسه على أجنحةالقوافى وترانيم الأوزان تحت اسم مستعار هو ( الشاعر المجهول ) حتى أراد الله أخيرا أن يظهر الاسم الصحيح لهذا الشاعر المجهول ، فإذا هو ( عبد القدوس الأنصارى ) صاحب الأنصاريات : هذا الديوان الجميل بتكوينه لا بتلوينه ، واسم الديوان فيه نفحة من نفحات ( شوقى ) ، وشوقى الشاعر الأثير عند الأنصارى وغيره من الأدباء والشعراء البارزين فى الشرق والغرب ، وإذا كان شوقى قد استجاب لرغبة صديقه الأمير ( شكيب أرسلان ) فى تسمية ديوانه ( الشوقيات ) فلعل الأستاذ الأنصارى أيضا قد استجاب لرغبة صديق من أصدقائه فى تسمية ديوانه ( بالأنصاريات ) .

يقع الديوان فى ( ٦٧ ) صفحة من القطع المتوسط على ورق سماوى اللون

يمتع النظر ويبهج النفس ، وهو يحتوى حسان القصائد وقد رتبت ترتيبا فنياً على أساس المواضيع والأغراض ، فمنها ( العقيقيات ) ومنها ( التأمليات ) ومنها ( الوصفيات ) ومنها ( الدينيات ) والرثائيات والفكاهيات الخ .

وقد قدم الديوان فضيلة الأستاذ الكاتب المعروف ( هاشم دفتردار ) بمقدمة شاعرية الأسلوب فنية الديباجة ، أدارها على محور من المعانى والألفاظ لا تقل عن الشعر المنظوم ظلالًا وصوراً وموسيقى ، استهلها هكذا : ما هذا ؟ سيل هادر دفاق يحتضنه الوادى الخصيب ، وادى العقيق . وما تلك؟ قصور شماء تنعم بالنفس الرخى وبالنسيم العبق بين الحدائق الغناء والمروج الزاهية باللطيف وبألوانه وجماله وسحره وبالسكينة الصامتة والوداعة الناطقة .

والحق أن ( العقيقيات ) قد ذهبت بالحسن كله مما يحفل به الديوان من جميل وحسن ، ولعل هذا راجع إلى مايحسه الأستاذ الأنصارى نحو هذا الوادى من حب صادق وإجلال رائع وشعور فياض ، فكانت ( العقيقيات ) صدى لهذا كله حرارة ونضارة وافتنان. وها هو أمام ( وادى العقيق ) ذلك الوادى الأفيح المعطر بطيوب التاريخ وعبق الذكريات وآثار الماضى المجيد ، وها هو الوادى يتدفق أمام عينيه تدفقا يبهج النفس ويهز الفؤاد ، وقد انعكست على صفحة الماء الهادر أشعة الأصيل الذهبية الهادئة ، واختلط شعاعها الرقيق الوهاج بأنسام العقيق المواج ، فكان من ذلك كله منظر طبيعى رائع هز نفسه الشاعرة: فانطلق يغنى للحياة الضاحكة والطبيعة المراح :

هذا العقيق وقد همى متبسماً     طلق المحيّــا شادياً بسروره

ألا تذكرون حين تنشدون هذا البيت الملئ بالإحساس الحى والعاطفة الجياشة ؟! ألا تذكرون بيت الشاعر العبقرى ( الوليد البحترى ) :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً     من البشر حتى كاد أن يتكلما

إن إشاعة الحيــاة فى الطبيعة الجامدة ومناجاتها مناجاة النفس للنفس والروح للروح ليست خصيصة من خصائص الشعر الغربى ينفرد بها بين شعر

العالم كما يتوهم البعض ، ولكنها سمة تتجلى فى كل شعر أصيل سواء كان ذلك شرقياً أو غربياً .

وتراه فى لألائه متدفقا ينساب بين سهولة ووعوره

تتكسر الأمواج فوق صخوره فتئن من تأثيره وعبوره

وتهب من جنباته نسماته فتفوح عطراً منعشاً بعبيره

ويستمر فى وصف فيضان العقيق وما يرسمه ذلك الفيضان من صور جميلة وأشكال بديعة وإيحاءات حلوة فى كلمات مقدرة تقديرا فى ألفاظها ومعانيها ، فلا شطط ولا تهاويل ولا إغراب ولا إحالة ، وإنما كل كلمة وما تعنيه وكل معنى وما يوحيه : حتى إذا استنفد إعجابه من ذلك المنظر الرائع ، عاد إلى العقيق ليستلهم من آثاره الخالدة ورسومه الباقية ما يعيد الماضى حيًّا يجيش بالحركة ويتهلل بالمجد ، فيعرض لك الشاعر شريطاً ناطقاً وسجلًّا حافلًا بما قام على جوانب هذا الوادى من عمران زاهر وحياة ناعمة :

هذا العقيق وقد همى مترنماً يشدو لنا بقطينه وقصوره

هذا العقيق وقد همى متأرجاً يشدو لنا بحياته وشعوره

يتوارد الزوار يوم وروده مستبشرين بفيضه وصدوره

وتراهمو زمراً على حافاته يشدو لهم بمنظيمه ونثيره

وهكذا يستمر الشاعر فى وصف حياة العقيق الغابرة وما زخرت به تلك الحياة من بهجة ونعيم تركت أريجاً عطراً فى تاريخ الأدب العربى ، وكانت مصدراً من مصادر الفتنة واللهو والجمال .

وليس لى ملاحظة على هذه الأبيات الجميلة الرقيقة سوى تكرار كلمة ( يشدو ) ؛ فقد جاءت فى أكثر من بيت من أبيات هذه القصيدة العذبة التى كان لها من حسنها وجمالها ما رشحها للغناء الحلو الرقراق الذى طالما شنف آذاننا ونحن نسمعه ينساب من إذاعتنا الحبيبة باسم (أغنية وادى العقيق) .

وبعد هذه القطعة الحلوة تطالعك قصيدة أخرى على طريقة الموشحات الأندلسية عنوانها : ( وقفة بوادى العقيق ) يستهلها الشاعر قائلا :

وقف الشاعر فى وادى العقيق　　فى أصيل كالعقيق الذهبى

وما أرق وأجمل هذا الجناس اللطيف الذى استعمله الشاعر بين اسم وادى العقيق وبين ذلك الجوهر الكريم : العقيق الذهبى . ويستقطر كل ما فى هذه الكلمة من صور وإيحاءات فيردف قائلا :

وإذا الشاعر يهمى لعقيق　　مسبل من ماطرات الحبيب
ما لذا الوادى البهيج الفاتن　　قد بدا عطلا من الحلى البديع
أقفرت آطامه من شادن　　كان يوحى بهجة حين الطلوع
وخلت أرجاؤه من لاحن　　يرسل اللحن كأطيار الربيع
جل حكم الله فى دار العقوق　　إذ براها عرضة للنُّوَب
نخيال الشؤم فى لمع البروق　　ونذير الرعب طى الرغب

وهكذا يسترسل شاعرنا الأصيل فى تدفق وانسياب فى لحن موسيقى رائع وأداء فنى سليم ، وما أريد فى هذه الكلمة العابرة أن أستأثر على القارئ بحقه فى المتعة فيما حواه هذا الديوان الشعرى الجميل من فتنة أدبية رائعة ، على أنى لا أحب أن أختم هذا الحديث قبل أن أمر بقصيدة فكاهية فيها دعابة حلوة . هذه القصيدة هى ( الجندولية الجديدة ) .

ولعل القراء يذكرون (أغنية الجندول) الرائعة التى يغنيها المطرب الكبير ( محمد عبد الوهاب ) وهى من شعر شاعر العربية المبدع ( على محمود طه ) . . فقد اتفق للأستاذ الأنصارى أن كان فى يوم عيد الأضحى ضمن نخبة من صحبه فى إحدى ضواحى مكة للتمتع بمناظرها البهيجة ، فداهمتهم أسراب هائلة من الذباب لازمتهم سحابة النهار ، فكان لها أثر كبير فى تكدير صفوهم و ( عكننة ) مزاجهم ، ولعل القراء أيضا يذكرون تلك القصيدة الهزلية التى عارض بها أحد الشعراء مقصورة ابن دريد ، والتى يقول فيها الشاعر الهازل :

من صفع الناس ولم يدعهمو　　أن يصفعوه فعليهم اعتـــدى

أما جندولية الأنصارى الفكهة فهى من النوع المطرب والمضحك فى آن واحد ؛ يقول الأنصارى :

أين م الأفليت هاتيك المجالى　　يا قذى الأعين يا كرب الخيال
أين م الهدهد مسنون النصال　　أين من منقاره هـــذا المجال
موكب الذبان فى عهد السخال　　وسراياه إلى مغنى الجمـــــال

بات فى ليلته يندب هجره
خاوى البطن وقد أفرغ صبره
كلما هبت من الوادى سحره
نسمة هبت وقد أشحذ شفره

أين م الأفليت هاتيك المجالى　　يا قذى الأعين يا كرب الخيال
نصل الليل وقد خاوت قواه　　واستحال الجوع ناراً فى جواه
وصحا يرقب فى الصبح هواه　　أترى قد يشبع الصبح خواه

وقدمنا فى ابتهاج ومسره
ننشد المتعة فى جو وخضره
عبر واد زاد بالهدأة نضره
تنشد الطير به فى الأيك شعره

أين من عينى هاتيك المجالى　　فتنة الأنظار فى عيد السخال

إلى آخر تلك القصيدة المرحة الضاحكة التى كان سببها ( عكننة ) الذباب ؛ فقد كانت أثراً من آثار فنان . .

وبعد ، فهل ترانى وفقت فى عرض محاسن هذا الديوان ، ذلك متروك للقراء الذين أرجو أن يجدوا فى ثنايا هذا الديوان الممتع ما يجعله نديم سمر وأنيس سفر .

## من روائع الشعر العربى القديم

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما
المولج الليل فى النهار وفى الليل نهاراً يفرج الظلما
الخافض الرافع السماء على الأرض ولم يبن تحتها دعما
الخالق البارئ المصور فى الأرحام ماء حتى يصير دما
من نطفة قدرها مقدرها يخلقُ منها الأبشار والنسما
ثم عظاماً أقامها عصباً ثمت لحماً كساه فالتأما
ثم كسا الرأس والعواتق والأبشار جلداً تخاله أدما
واللون والصوت والمعائش والأخلاق شتى وفرق الكلما
ثمت لابد أن سيجمعهم والله حقًّا شهادة قسما
فائتمروا الأمر ما بدا لكمو واعتصموا إن وجدتمو عصما
فى هذه الأرض والسماء ولا عصمة منه إلا لمن عصما
يا أيها الناس هل ترون إلى فارس والروم خدها رغما
أمسوا عبيداً يرعون شاءكمو كأنما كان ملكهم حلما

نبعت هذه القصيدة المؤمنة من قلب عربى مؤمن أدرك الجاهلية والإسلام وكان شاعراً فحلًا خلد له التاريخ الإسلامى أعطر الثناء وأطيب الذكر ، وكان بحق نابغة من نوابغ الشعر العربى . ذلكم هو ( النابغة الجعدى ) وإذا ذكر النابغة جرى على الألسنة وخطر على الأفكار بيتاه المشهوران من قصيدته الرائية التى أنشدها بين يدى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت محل إعجابه وموضع استحسانه ، وهما :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : لا فض فوك . وسيأتى البحث عن هذه القصيدة الفذة فيما يلى من هذا الفصل .

أما الآن فسنقف وقفة قصيرة عند هذه القصيدة التى افتتحنا بها هذا الحديث لا لنفسر معانيها ولا لنشرح غريبها ولا لنذلل على محاسنها ، فهى غنية عن كل ذلك لسهولتها فى وضوحها وصفائها ، ولكننا سنقف لنناقش رأيا خاطئا أورده مؤرخو الأدب القدماء فى غير تمحيص ولا روية: ذلك أن المتأمل لأبيات هذه القصيدة الرائعة يدرك لأول وهلة فى جلاء ووضوح أنها قصيدة إسلامية محضة أملاها على الشاعر إيمان عميق وتوحيد صادق بما جاء فى سور القرآن الكريم وآياته من ذكر لخلق الإنسان وإبداع الليل والنهار واختلاف الألسنة والألوان فجاءت القصيدة مطبوعة بالروح الإسلامية والأسلوب القرآنى نصًّا ومعنى ، فكانت وايم الحق تسبيحة من تسابيح الروح المؤمنة والقلب الموحد فكأنما كان النابغة يحدو بأنغامها الحلوة وألحانها الرقيقة قوافل الركب الإسلامى فى موكب الدعوة الإسلامية وهى فى أوج عظمتها وسمو قوتها . ولكن مؤرخينا القدامى عفا الله عنهم يقولون لنا : إن هذه القصيدة جاهلية . ألستم مصدقين !

اسمعوا إذاً مايقول صاحب الأغانى ( كان النابغة ممن فكر فى الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وما يفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان، وفى الجاهلية قال كلمته التى أولها :

الحمد لله لا شريك له      من لم يقلها فنفسه ظلما

ونحن نؤكد أن هذه القصيدة إسلامية محضة لا تشوبها أى شائبة من شوائب الروح الجاهلية ، بدليل أن كثيراً من أبياتها مقتبس من آيات القرآن المجيد أسلوباً ونسقاً ولفظًا ومعانى . ولعل أبا عبيدة الذى روى عنه أبو الفرج حديثه السالف أراد أن يطرف رواد حلقته الأدبية بخبر من أخبار النابغة

الجعدى، فأضاف هذه القصيدة إلى العهد الجاهلى، ورشح لها قصة تنسك الشاعر وتأمله فى الجاهلية وهجره للخمر وصدوده عن الأزلام وغيرها . وهناك رواية أخرى تقول : إن النابغة دخل على عثمان رضى الله عنه مودعاً له فقال له : إلى أين يا أبا ليلى ؟ قال: ألحق بإبلى فأشرب من ألبانها فإنى منكر لنفسى . فقال له عثمان : أتعرباً بعد الهجرة ؟ أما علمت أن ذلك مكروه ؟ قال : ما علمته وما كنت لأخرج حتى أعلمك ثم أذن له وأجل ذلك إلى أجل . وخرج من عنده ودخل على الحسن والحسين رضى الله عنهما يودعهما فقالا له : أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى . فأنشدهما : الحمد لله لاشريك له الخ فقالا له : ما كنا نروى هذا الشعر إلا لأمية ابن أبى الصلت . فأجابهما قائلا : يا بْنَىْ رسول الله إنى لصاحب هذا الشعر ، وإن المسروق من سرق شعر أمية . وهذه الرواية كما ترى متهافتة هى الأخرى ؛ لأن فى نصوص القصيدة ما يؤكد أنها قيلت . وقد ضرب الإسلام بجرانه ودالت للعرب دولتا الفرس والروم . فكانت وحياً مما وصلت إليه الأمة العربية الإسلامية من مجد باذخ وعز شامخ . ولا يستبعد أنها نظمت فى أوائل العهد الأموى ؛ لأن النابغة عمّر طويلا ووفد على ابن الزبير إبان سلطانه فى مكة . وما لنا نذهب بعيداً والقصيدة نفسها تؤكد عدم جاهليتها ، وإلا فما معنى هذين البيتين :

يا أيها الناس هل ترون إلى     فارس والروم خدها رغما
أمسوا عبيداً يرعون شاءكمو     كأنما كان ملكهم حلما

فهل كان ذلك فى العصر الجاهلى ؟ وهل كان الفرس والروم عبيداً للعرب فى جاهليتهم أم العكس هو الصحيح؟ الحق أن ذلك لم يكن إلا فى عهد النهضة الإسلامية التى غمرت العالم بسناها الوضاء وهداها العظيم .

أما القصيدة التى نالت إعجاب الرسول صلى الله عليه وسلم فهى قصيدته الرائية العصماء التى وفد بها على الرسول فى المدينة وأنشده إياها ، وأولها :

خليلىّ عُوجا ساعة وتهجّرا ولوما على ما أحدث الدهر أو درا

وفيها يقول مفتخراً بقومه معتزًّا بأيامهم ومناقبهم وشجاعتهم :

وإنا لقوم ما تعــوّد خيلنــا إذا ما التقينا أن تحيــد وتنفرا

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا

بلغنا السماء مجــدنا وسناؤنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فلما سمع الرسول قوله ( بلغنا السماء الخ ) قال : إلى أين يا أبا ليلى ؟ فقال النابغة : إلى الجنة . فأجابه الرسول مستحسناً جوابه : نعم إن شاء الله .

ثم استمر الشاعر فى إنشاد قصيدته حتى بلغ قوله :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجدت لا يفضض الله فاك ؛ فعاش النابغة قريبا من مائة وعشرين سنة ولم تسقط له سن ، وكان إذا سقطت له سن نبت له غيرها ببركة دعاء الرسول له ، وكان ـ كما روى عنه ـ من أحسن الناس ثغراً إذا ابتسم ؛ فكأن أسنانه البرد المتهلل .

ومن شعره المستجاد المستحسن لفظاً ومعنى قوله :

فتى كملت خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

ويشاء سوء الطالع أن يتعرض هذا الشاعر الفحل فى أخريات حياته لحدة مزاج ( أبى موسى الأشعرى ) رضى الله عنه ؛ فقد ذكر الرواة أن بنى عامر بالبصرة وهم رهط النابغة عاثوا فى الزرع فبعث إليهم ( أبو موسى ) ، وكان أميراً على البصرة ـ فى طلبهم فتصارخوا : ياالعامر فخرج النابغة ومعه عصبة له فأتى أبا موسى فقال له : ما أخرجك ؟ فقال : سمعت داعية قومى ؛ فاعتبرها أبو موسى نزعة جاهلية ودعوة من دعواتها التى أبطلها الإسلام ، وغضب على

الشاعر وضربه أسواطاً ، فكان ذلك سبباً فى هجاء النابغة لأبى موسى الأشعرى قائلا فيه :

رأيت البكر بكر بنى ثمود وأنت أراك بكر الأشعرينا

فإن تك لابن عفان أمينـا فلم يبعث بك البر الأمينا

وكان هذا ما وصل إليه غضب الشاعر لكرامته المهدورة . رحم الله النابغة ورضى عنه .

## من تجاربي في قرض الشعر

هذا هو السؤال اللطيف الذي يريد أستاذنا الكبير عبد القدوس الأنصاري الإجابة عليه ، وأحسب أن لطافة هذا السؤال تأتي من قبل الظرف الروحي الذي يتمتع به الأستاذ ؛ لأن تجارب قرض الشعر تعتبر في نظري سرًّا من أسرار الصنعة، ولكن الأستاذ يريد أن يطرف قراء المنهل بسر من أسرار الشعراء ، وهنا يتجلى ظرف الأستاذ وخفة ظله . .

تختلف تجاربي في قرض الشعر باختلاف البواعث العاطفية والتجارب النفسية التي يهتز لها وجداني وتتأثر بها نفسي ، وعلى قدر قوة هذه البواعث وضعفها وعلى نسبة عمق تلك التجارب وحرارتها تكون استجابتي للتعبير عنها سهولة وصعوبة وسرعة وإبطاء . فأنا قد أنظم القصيدة التي تبلغ (٤٠) أو (٥٠) بيتاً في ليلة واحدة ، وإذا كان الباعث عليها تجربة عاطفية عميقة وتأثرا نفسيا شديدا ـ مثال ذلك قصيدتي ( دمعة وفاء ) التي رثيت بها المرحوم فقيد جازان الكبير الشيخ ( محمد سعيد بامهير ) ؛ فقد كنت في الطائف في ربيع الأول سنة ١٣٨٠هـ وكان مقيماً بها آنئذٍ معالي أمير مقاطعة جازان الأمير تركي بن أحمد السديري وذهبت للسلام عليه ، وبعد ما استقر بي المجلس فاجأني الأمير قائلًا : عظم الله أجرك في صديقك ( بامهير ) ، ووجمت وجوم من فسر هذه العبارة بأنها كناية عن عزله من العمل؛ إذ كان مديراً عامًّا للمياه في جازان ، وكنت قبل سفري من جازان أسمع شائعة عنه كهذه ، ولكن الأمير أردف يقول : جاءتني منه برقية قبل يومين أنه متوجه إلى الطائف واليوم تسلمت برقية بوفاته . وصدمني الخبر صدمة عنيفة وأحسست إحساساً عميقاً بعظم الفاجعة ومرارة الرزء . . فقد كان ( بامهير ) رجلًا تمثلت فيه كل مطامح البلد وكل أمانيه؛ فهو من رواد الحضارة في جازان . وصمت صمت الرجل الذي

لم يجد ما يدفع به الصدمة سوى الصمت، واستأذنت من معالى الأمير وخرجت.
خرجت وفى فكرى دوامة وفى نفسى توتر وفى عاطفتى جيشان وأنا أشعر بحاجة للتنفيس عن نفسى والتعبير عن مشاعرى حيال هذا الرجل الكريم ، وبت تلك الليلة أخط وأمحو وأكتب وأشطب وأصبح الصباح وبين يدى قصيدة رثاء فى بامهير تزاحمت أبياتها فوضعتها فى ظرف وأرسلتها إلى جريدة عكاظ . هذه تجربة ، وهناك تجربة أخرى اجتماعية هى قصيدتى (بطولة الجزائر): والجزائر - كما هو معلوم - بلد عربى مسلم وقع تحت نير الاستعمار الفرنسى عام ( ١٨٣٠ ) م ذاق خلالها من المحن والشدائد ما يذيب أصلب الشعوب عزيمة وأشدها إرادة، ولكنه كافح وناضل وحافظ على عروبته وإسلامه ، كل ذلك الأمد الطويل . وفى أثناء نضاله المسلح الحديث دعت حكومتنا السنية إلى تخصيص أسبوع ( للجزائر ) تجمع فيه التبرعات وتستحث فيه الهمم للبذل والعطاء ، وأشعرتنى إمارة جازان بذلك ، وكان من المحتم أن أشارك بشعرى فى تلك الغاية النبيلة ، وكان بين موعد الحفل وبين إشعارى بالمشاركة أسبوع تقريباً وقد نظمت خلال ذلك الأسبوع قصيدتى ( بطولة الجزائر ) وهى لا تقل عن ( ٥٧ ) بيتاً .

وبالجملة فأنا إذا امتلأت نفسى بمعنى من المعانى وجاشت عواطفى بإحساس من الأحاسيس الذاتية أو الجماعية يظل فكرى وذهنى مشغولاً بذلك المعنى ليل نهار، فأنظم وأنا على مكتبى فى الآداب، وأنظم وأنا بين أصحابى ، وأنظم وأنا على فراش النوم حيث أستلقى ثم ما أشعر بنفسى إلا وقد خطرت لى أبيات من الشعر تندفع فى فكرى كالشؤبوب فأقوم من الفراش أشعل الضوء ، وأقيد تلك الأبيات ثم أهدأ وأعود إلى فراشى واضعاً القلم والورق تحت رأسى استعداداً لشؤبوب جديد ، بل فى بعض الأحيان يظل المعنى فى ذهنى مدة طويلة كالأساس الذى يضعه البناء ثم يرفعه فيما بعد طوبة طوبة إلى أن يبلغ البناء

نهايته . . ومن أغرب ما جربته فى نفسى أنى قد تخطر لى أبيـــات وليس عندى ورقة ولا قلم أسجلها عليه فأظل أردد تلك الأبيات فى نفسى وأحفظها فى قلبى حتى أصل إلى مكتبى وأقوم بتسجيلها ، وبعـد تسجيلها ومرور برهة قصيرة على ذلك لا أستطيع أن أسردها إلا إذا رجعت إلى الورقة وقرأتها فـكأن حفظى لها فى تلك الأثناء (حضانة) فـكرية بمجرد ما تنتهى يصبح الفكر فى إجازة وتتخلى الحافظة عن مسئوليتها ، ولله فى خلقه شئون .

## رباعيــــاتى

### ديوان شعر الأستاذ سعد البواردى

عرفت الأستاذ الشاعر ( سعد البواردى ) أول ما عرفته فى مكتبه بمجلة اليمامة بالرياض قبل حوالى أكثر من خمسة أعوام ، فبدا لى من وراء سمته الهادئ وحديثه الوديع شاعراً فيلسوفاً أو فيلسوفاً شاعراً يتمتع برؤية شعرية واضحة تجاه الحياة والأحياء ويعبر عنها تعبيراً صادقاً شعوراً وإحساساً، وكنت قبل معرفتى الشخصية به قد عرفته معرفة « روحية » من خلال دواوينه الشعرية ومقالاته الأدبية التى حفلت بها جرائدنا ومجلاتنا .. فإذا ذاك الانطباع عكسته فى نفسى مقابلتى الأولى له يبدو بارزاً بكل إشعاعاته وظلاله فى نتاجه الفكرى شعراً ونثرا فهو يفلسف ما يراه وما يحسه ويحاول أن يستخلص لنفسه فكرة ، ولفكره عبرة فيما يراه وما يحسه . ومنذ أيام استقبلت المكتبة العربية ديواناً جديداً للشاعر ( البواردى ) أفضل مشكوراً فأهدانى نسخة منه . والديوان من تلك الدواوين الأنيقة الرشيقة مظهراً ومخبراً ، فهو صغير الحجم لا يتجاوز (١٣٧) صفحة من القطع الصغير على ورق صقيل، أول ما تطالع فيه هذه المقدمة القصيرة التى تختصر بإيجاز كل ما أحسه الشاعر تجاه الحياة والأحياء فى قوله : ( عبر هذا الوجود عبر إيمانه وجحوده عبر نهاره وليله وعبر آماله وآلامه عبر سلامه وخصامه عبر مثاليته وأنانيته عبر كل التناقضات فيه جاءت هذه الرباعيات القصيرة . هذا الكراس الصغير ) .

وفى عصرنا المادى المشحون بزوابع الشك وأعاصير الجحود تطالعك فى هذا الديوان وفى أول صفحة منه هذه التسبيحة المؤمنة بالله ورسوله وكتابه :

آمنت بالله ربا وبالشريعة دينا

وبالنبي رسولاً مبشراً وأمينا
آمنت أن كتاباً من السماء مبينا
يجلو الغشاوة عنا يذكى النقاوة فينا

هذه التسبيحة المشحونة بعواطف الإيمان ومشاعر اليقين تصدر من قلب شاعر تغلبت على وجدانه ألوان من الأحاسيس المضطربة والمشاعر المتناقضة. إنما هى حقيقة الحائر الذى وجد الطريق وآنس النور، فمضى بنفس مؤمنة وقلب مؤمن يؤكد إيمانه بالله خالق السماوات والأرض فى ألفاظ حية وتعابير صادقة تود أن تصرخ بكل قوتها فى مسامع العالم المضطرب بين الشك واليقين. إن الإيمان بالله هو الميناء الحصين والمرفأ الأمين الذى تجنح إليه سفينة الإنسانية كلما طغت عليها أمواج الحياة العاتية وتيارها الجارف. ويالضعف الإنسان أمام هذا الكون الذى يعج بالمتناقضات: بالخير والشر، والألم والأمل، والنور والظلام فى كل زاوية من زواياه وناحية من نواحيه.

ويواصل الشاعر هتافه الإسلامى فيتحدث عن إيمانه بكل شعائر الدين الإسلامى من صلاة وصيام وحج إلخ بنظرة وإحساس عميق:

يارب تجمعنا صلاتك كل يوم والدعاء
نهفو إليك تضمنا دور العبادة فى إخاء
رغم القطيعة مزقت صلواتنا ستر الجفاء
عدنا إليك أحبة عدنا لبيتك أصفياء

وما أجل حكمة الصلاة وأروعها حين تنضم صفوف المسلمين بعضها إلى بعض فى تواد وتعاطف وخشوع وإخبات بين يدى ربهم يرجون رحمته ويخشون عذابه: كلهم ضارع وكلهم خاشع لا فرق بين فقير وغنى ولا عظيم ولا حقير، إنه موقف من مواقف الإيمان تتجلى فيه المساواة ويتألق فيه الصفاء صفاء القلب ونقاء السرائر.

عدنا إليك أحبة عدنا لبيتك أصفياء

ويتأثر الشاعر - دأب كل شاعر - يحس بما تزخر به الحياة حوله من مظاهر العلوم الفضائية وما تنطوى عليه تلك العلوم من تفوق مادى وخواء روحى فيخاطبها قائلا فى رباعيته ( العلم المسخر ) :

قد عبرنا الفضاء ماذا عبرنا وعلى أرضنا بعقل ضوارى
وعلى أرضنا أسارى خصام نحن فى بحره نشد الصوارى
هل ترى العلم ما تمخض عنه من سلاح يفضى بنا للدمار
إن علماً لا يستجيب لعقل مدية أغمدت بوجه النهار

ويمضى الشاعر فى رباعياته الحلوة النغمات البسيطة الكلمات، فيعبر عن كل مايختلج به فؤاده وتضطرب به نفسه من نوازع وآمال وأشواق ورغبات ينشد الصفاء ويهفو إلى الطهر : طهر الطفولة فى براءتها الصافية فيهمهم بهذه الرباعية :

إنى لأستهوى الطفولة أن أعيش العمر طفلا
ألهو كما يلهو الصغار وأصطفى الأطفال أهلا
لا الحقد يجذبنى ولا الإسفاف أرسم فيه ظلا
أهلا وسهلا كل ما أشدو به أهلا وسهلاً

ولا أريد أن أتحدث عن كل مايضمه الديوان من تلك الرباعيات الرقيقة التى تنبض بالحس المرهف والشعور الرقيق والحكم الرضية ، فحسبى من الروض زهرة ومن البحر قطرة ، وأهلا وسهلا بالشاعر الرقيق والديوان الأنيق .

## شميم العرار
### ديوان شعر

لنجد فى تاريخ الأدب العربى بعامة والشعر بخاصة ذكريات عطرة وأصداء رنانة ورؤى ساحرة ؛ إذ لم يتغنّ الشعراء العرب — على كثرة ما تغنوا وحنوا — ببقعة من بقاع جزيرتهم الفيحاء كما تغنوا بنجد وعرار نجد وصبا نجد ، وحنوا إلى ذلك كله حنيناً صادقاً وشغفوا به شغفاً شديداً .

إن نجداً فى الأدب العربى ( كالألمب ) فى الأدب اليونانى مهبط الشعر ومستقر الشعراء ، ومن صحرائها الواسعة ورباها الفسيحة وواحاتها الغن هبت نسائم الحب العذرى العفيف ، وترددت أهازيج الغزل الروحى اللطيف ، وتضوعت أرجاء الجزيرة شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً بأريج عابق ونغمات شذية من أغاريد الحب وألحان الغرام ، حتى إنها لتستأثر من نَعَم الطبيعة ومتعها بآلات خاصة تومى إليها وتوحى بها ، فإذا هبت الصبا هتفنا مع الشاعر العربى القديم :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد فقد زادنى مسراك وجداً على وجد

وإذا تنشقنا أريج العرار رددنا مع الشاعر العربى القديم أيضاً :

تزود من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وإذا جد بنا الهوى وألح علينا الغرام ذكرنا قول الشاعر العربى القديم أيضا :

النجاء النجاء من أرض نجد قبل أن يعلق الفؤاد بوجد

ولقد طافت بذهنى كل هذه الخواطر ، وغمرتنى كل تلك الأحاسيس وأنا أتصفح الديوان الشعرى الأنيق الرشيق ( شميم العرار ) للشاعرة العربية الموهوبة ( غادة الصحراء ) الذى جاءنى هدية عن طريق الأستاذ الصديق ( حسن عبد العزيز ) مندوب جريدة الندوة الغراء بالرياض . وإذا كان

الكتاب يقرأ من عنوانه كما يقال ، فإن اسم الديوان دليل ناطق على الشاعرية الأصيلة والإحساس الفنى والذوق الرقيق والاختيار الموفق . كيف وملء دفتى الديوان إضمامة نضرة من مقطوعات وقصائد فيها من صفاء الأسلوب وجمال التعبير ورقة الخيال ونعومة الجرس وسماحة اللفظ ما يطرب ويعجب .

والديوان يقع فى (١٦٨) صفحة من القطع الصغير ، وهو يشتمل على زهاء (٥٠) مقطوعة وقصيدة ، وقد قدم للديوان الأديب اللبنانى (جورج غريب) بمقدمة ضافية ، شاعرية الأسلوب استهلها قائلا :

(رعى الله عهدهن ؛ إنهن فتنة الوجود ، وساعة يكن شاعرات فعلى الأرض أعراس النعيم ومواسم الجنة) ، ثم وجه كلمة عتب إلى التاريخ الأدبى حين جار عليهن فأغفل آثارهن وإن أقللن فـلم يحفظ لهن سجله الحافل (كالحماسيتين) بما يؤبه له فى ذكر مثل تلك الآثار ، فى حين أن عدد الشاعرات فى الجاهلية والإسلام بلغ المئات) .

والديوان فى مجموعه شعر وجدانى خالص (رومانتيكى) قوى العاطفة صادق الإحساس دفاق الشعور ، والشاعرة كما يقول (جورج غريب) :

(نجدية حسناء — على ما يبدو من التفاتاتها — وفى يدها صولجان ، ليس فى عشها خفيض وإن أضعفها الحب البكر فهى لم تمدد إلى بشر يدا ، كالصحراء لم تزل علية الجبين ، كالقباب ، كالرماح العراب . عاشقة صورت إباء وتطلعا إلى عظمة تريد أن تجعل من الشعر معبراً إلى معتزم وتعيش على البراءة الأصيلة متطلبة الغيب الجديد) .

ولو أردت أن أستعرض بعض قصائد هذا الديوان اضاق المجال ، ولكنى سأدل على الخميلة بزهرة وعلى الينبوع بقطرة ، ومن هذه القصائد افتتاحية الديوان :

ويحهن النبال مزقن من قبلى     فـدمعى ثر مع الواحات

بات شعرى مجرحاً فتساءل   يا حبيبى هل من سواك العاتى
كلما خط يراعى على الطرس   تملّى الصرير من أناتى
وتملّت سكينة البيد أوجاعاً   وطال النحيب فى الظلمات
ويح قلبى ترى ستكشفه يوماً   عذارى مثلى غواد أو أوات
فيغنين بى بشعرى بالجراح   من هدنى وهد لذاتى
يا حبيبى فداك ما أنا قاسيـ   ـت وحبى وأدمعى العاشقات

وفى نغم مهموس ونبرة ضافية تطالعك هذه المقطوعة المليئة بمعانى الشمم ونفحات السمو وجلال الوفاء :

أنا لا وربى لا أخون عهـ   ـدى كما شيمى أصون
يرنو إلىّ أخو العلا   تشتاقنى كل العيون
لكننى أبقى الوفيه   لا يحركنى فتون
حبى أنا لك المدى   ولبعد ملتفت الظنون

والشاعرة حين تسترسل مع طبيعتها الأدبية وسليقتها العربية ملتزمة قواعد الفن الشعرى وأصوله ، تنداح خواطرها العذبة ومشاعرها الملتهبة فى تدفق وتناغم وانسجام ، فلا نشاز فى موسيقاها ، ولا تنافى فى ألفاظها ولا تفكك فى سبكها . استمع إليها فى قصيدتها ( عيناك ) :

فيهما اليم والسحاب وهذا المنتهى والزوارق الذاهبات
والأصيل الفتان مذ طاب فى الضوء رحيل وطاب الأمسيات
يا حبيبى عيناك أجمل هذا الكون أبهى ما غنت الذكريات

إلى أن تقول :

حبنا من أصيل ما حبب القر   آن سام وما سواه افتئات

وهذه القصيدة من غرر قصائد الديوان صوراً ، وظلالا وأخيلة وتعابير .

والمرأة شاعرة بالجبلة والفطرة ، خصوبة عواطف ورقة تكوين نفسي وعضوي، فإذا جادها العلم وروتها الثقافة ، فقد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . . وبعد ، فإن ( غادة الصحراء ) في ديوانها شميم العرار نخلة باسقة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وهي بعطائها السخي ونتاجها الفني البكر تثبت أن الصحراء العربية ما تزال تثمر وأن سماءها ما تزال تمطر .

## غـــــربـاء
## ديوان شعر صلاح لبكى

ليست الغربة مفارقة الأهل والبعد عن الوطن، فهذه غربة مادية يستعيض عنها الإنسان أهلًا بأهل وجيرانًا بجيران، والأرض من طينة والناس من رجل، ولكن الغربة الحقيقية التى تتمزق بها الروح وتضيق بها النفس ويتفطر منها الكبد هى غربة الروح، غربة الشعور حين تعيش فى المجتمع غريبا بنفسك وحيداً بإحساسك بعيداً بشعورك عن مشاعره، وما أقساها غربة وما آلمها عزلة، هذه الغربة الروحية شعر بها من قديم كثير من ذوى الألباب النيّرة والمشاعر المرهفة والأحاسيس الرقيقة، استمع إلى أبى تمام الطائى وهو يخاطب الوزير الأديب عبد الملك بن الزيات فى إحدى قصائده الروائع وقد شعر بغربة روحه ووحشة نفسه بين ما يحيط بها من قتام وغمام :

أبا أحمد إن الجهالة أمها ولود ... وأم العـــلم جداء حائل
أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم ... شعوب تلاقت دوننا وقبائل
غدوا وكأن الجهل يجمعهم به ... أب وذوو الآداب فيهم نواقل
فكن هضبة يُؤوى إليها وحرة ... يعرّد عنها الأعوجى المناقل
فإن الفتى فى كل حال مناسب ... تناسب روحانية من يشاكل

واستمع إلى أبى الطيب المتنبى وهو يصرخ من أعماق روحه :

أنا فى أمة ، تداركها الله ، غريب كصالح فى ثمود

وأصحاب الفكر – لاسيما الشعراء – دائماً غرباء، غرباء حتى بين أهليهم وذويهم والمقربين إليهم ، ذلك لأنهم يشعرون بالحياة شعوراً يخالف شعور المحيطين بهم من ذوى المدارك الساذجة والأفكار الفجة ، وهذا عائد لرهافة إحساسهم وما حباهم الله به من صحة النظر وسلامة الإدراك ومتانة الأخلاق ،

فهم يشعرون بجوهر الأشياء حين يشعر سواهم بعرضها ويحسون بلب الحياة حين يحس سواهم بقشورها وينظرون إلى الحياة والأحياء من أفق طلق وميدان واسع حين ينظر سواهم إليها من خصاص النوافذ وثقوب الكوى .

ولعل الشاعر المعاصر أحسّ شيئاً من هذا حين قال :

ثمن المجد أن تعيش غريبا  فيلسوفاً أو شاعراً أو أديبا
لك روح فسيحة تسع الدنيا  إذا ضاق ساكنوها قلوبا

خطرت بنفسى هذه الخواطر وتداعت بفكرى هذه المعانى وأنا أقرأ ديوان ( غرباء ) للشاعر اللبنانى الكبير ( صلاح لبكى ) الذى قالت عنه مجلة الآداب فى العدد التاسع من عام ١٩٥٥م حين وافته المنية ( سكت قلب صلاح لبكى ) عن الخفق فسكت معه الحنان والدفء والحب والشعر ، وما كان أكثر خفقانه بها جميعا . كان محاميا شهدت قاعات القضاء دفاعه البليغ وصوته المدوى. وكان كاتبا عرفته صحف لبنان والمهجر ، وعرفه القراء فى كتبه أساطير . ومن أعماق الجبل ولبنان الشاعر ، وكان واسطة عقد الأدباء الذين تحلقوا حوله ، فكان لسانهم وكان رئيسهم ، وكان قلمهم فى أهل القلم ، وكان فى كتاباته وساعات عمله وفراغه شاعراً دفق ونهل رقة . ولقد كان شاعر القلب فى مجموعاته (أرجوحة القمر . ومواعيد . وسأم) . فما آلم النكبة حتى يصيب الداء من الشاعر صميم القلب ويقضى عليه بالسكوت . وقال عنه يوسف غصوب فى مقدمة ديوانه غرباء : ( أخشى أن لا أحسن الكلام على صلاح وعلى شعره ، لأننى أحببت صلاحاً وأحب شعره ، وقد يكون الحب كالبغض يخفى مفاتن لا تفوت الناقد المستقل النزيه الذى ينظر إلى الصنيع الفنى بعين مجردة عن كل غاية سوى الغاية الفنية . أما الصديق الحميم فقد يكون حبه غشاء يستر المحاسن كما يستر العيوب ، فهو كشعاع الشمس لا يبدى منهـا إلا نورها ، على أن وراء هـــذا النور الباهر ما يغرى ويثير الإعجاب بقطع النظر

عن الحب المجرد الخالص . ثم هناك بعض الصلة الروحية والفنية بينى وبين صلاح ؛ فكثير من مواهبه أراها طبيعية بينما هى تسترعى انتباه الآخرين ، وعلى كل حال ليست هذه المقدمة الوجيزة درسا ممتعا لشعر صلاح ، إن هى إلا إبداء عاطفة وإبداء رأى بشعره . . كان صلاح شاعراً قبل أن يكون أى شىء آخر ، فكل عمل أتاه فى حياته كان ثانويا بالنسبة إلى الشعر . وقد قلت فى كلام عن ميشال شيحا : إن الشعر كان واجهة يلجأ إليها فى مهام عمله . أما صلاح فالسياسة والمحاماة والصحافة وما إليها من المشاغل لم تكن عنده على تمكنه منها سوى ملهاة . كان للشعر النصيب الأوفر فيها يسترشد فى مفاوزها ومجاهلها بقلبه لا بعقله ، والقلب ذو نزوات وأهواء تكون بنت الساعة ووليدة العاطفة ، وهى من صفات الشاعر الذى قل أن ينجح فى عمله سوى صياغة شعره . وقد أجاد بودلير عندما مثل الشاعر بالبطرس الطائر الذى يملك عنان الجو ويسبح فيه مشرفاً على الكائنات وإذا حط مرغما على الأرض تعثر بجناحه ) — ثم يقول يوسف غصوب : ( جاء صلاح والشعر فى لبنان فى أزمة انتقال وتطور أثارتها فئة من اللبنانيين قد تغذوا بثقافة أجنبية فى هذا البلد نفسه أو فى البلدان الغربية ، وراحوا يرون فى الشعر غير ما كان يراه اللبنانيون قبل الحرب العالمية الأولى . وقالوا : إن الشعر الخطابى ليس شعراً فقضوا بذلك على المدح والرثاء والفخر . وقالوا : إن الشعر حديث نفسانى وحوار داخلى وصنيع فنى هدفه الجمال ومنبعه الإيحاء واللاوعى ، واشترطوا فيه الصفاء والإخلاص والموسيقى . وقامت فئة تقول بأن الكلام مجرد تركيبه وترتيبه شعر ، وإن الإبهام والرمز من صفات الشعر الحقيقى ، فتضاربت الآراء والأهواء وتعددت المقاييس والمذاهب . . على أن أمراً واحداً لم يختلفوا فيه ، وهو أن الشعر اللبنانى قد بدأ عهداً جديداً ، ولابد فى كل انقلاب من فوضى ترافقه ، فكانت كثرة الخارجين على الشعر القديم وعلى

عموده وقيوده وقواعده واتساقه ، وكثرة الذين بالغوا فى التحرر من العقل والرزانة ، والتوغل فى الإغراب والغلو والإفراط فى ركم الألفاظ ومزج الألوان وتفكيك الأوزان مدعين أنهم يأتون بالجديد العجيب ، وما هم سوى متبعين أزياء تبدو وتختفى بين فصل وفصل . . أما صلاح فلم يتبع غير سليقته الشعرية وذوقه الخاص ، ولم يقطع كل صلة مع القديم من السبك الجيد واللفظ المختار والموسيقى الفاتنة ، على أنه اتبع المذهب الجديد فى فهم الشعر وفى رسالته الإنسانية وفى وجوب الإخلاص فيه والإعراب عما يخالج الشاعر من تعشق للجمال والحقيقة فجاء شعره ولا سيما ( أرجوحة القمر ) و ( مواعيد ) من أصفى الشعر وأرقه وأخلصه على عمق فى العاطفة والفكر وجودة الصياغة واقتصاد فى اللفظ يصلح معها جميعها أن يكون من الشعر اللبنانى الكلاسيكى ، ثم يقول الأستاذ يوسف غصوب مختتما مقدمته قائلا : ( فإذا أردنا أن نحدد صلاحاً تحديداً عاطفياً قلنا : إنه أحب الشعر والجمال ولبنان ، لكن هذا الحب الذى كان بمثابة شعلة تلتهب فى قلبه قلَّ إن لامست له صدى فرافقته كآبة تشيع فى كل بيت من شعره ، وكثيراً ما كانت هذه الكآبة تغريه بالرقدة الأبدية . ومن القصائد التى تغمرها الكآبة إلى حد كبير قصيدته (غرباء) من هذه المجموعة . فكأنه اغتنم فرصة الرثاء ليعرب عما فى نفسه من حزن وقنوط . وتذكرون ولا شك قصيدة أبى العلاء المعرى : ( غير مجد فى ملتى واعتقادى ) لكنه كان فيها أشد أسى وأعمق غوراً ) . .

كان إعجابى بهذا المقدمة الرصينة المتينة سبباً من أسباب نقلها فى هذه الدراسة ، فقد اشتملت على كثير من المعلومات والآراء التى تلقى ضوءاً ساطعاً على قضية الشعر العربى فى أدبنا المعاصر إلى جانب أنها تزن هذا الشاعر اللبنانى الكبير بميزان دقيق وتضعه فى مكانه اللائق بمنزلته الأدبية فى مصاف شعرائنا المعاصرين .

ديوان ( غرباء ) لصلاح لبكى صدر بعد وفاته مما يظهر لى من هذه المقدمة ، وقد مضى عليه منذ صدوره إلى الآن حوالى خمسة عشر عاماً ، ولكنه مع ذلك لايزال جديدا لا يبلى ، وهذه أسمى ميزات الأدب وأرفع خصائصه ، إنك تشعر بنفس اللذه الأدبية حين تقرؤه فى كل وقت وآن سواء كان هذا الأدب قديماً أو جديداً ، فأنت تقرأ المتنبى فيهزك شعره وقد مضى عليه أكثر من ألف سنة ، وكذلك الفن عامة والشعر خاصة . فإذا تحدثنا عن ديوان ( غرباء ) فإنما نتحدث عن شعر مايزال له من الجدة والخصوبة والمتعة مايجعلنا نهتز له ونعجب بأسلوبه ونطرب لمعانيه ، واستمع إلى الشاعر فى قصيدته ( غرباء ) التى سمى بها الديوان ، وانظر إلى هذه الكآبة الرقيقة التى تشيع فى كل بيت من أبياتها :

أهلهـــا نحن أهلها الغرباء    طال أو لم يطل عليها الثواء
أى شىء يلقى إذا انقطع الصوت، ولو طاب ما يطيب الغناء
أى شىء يظـل للغصن منها    يوم تنأى عن غصنها الورقاء
أى شىء متى تعرت من الحسن جسوم وأقفرت أخباء
يسقط الضوء للعيون فإن غامت وغابت فما يضىء الضياء
النض ولا مفرد فيه أو لضوء بعـــد العيون بهـــاء
ملكتنا وما ملكنا ولو قامت لنـــا دولة بها غنـــاء
نحن شىء بها كأشياء ماذا تتولى من أمرها الأشياء
نحن شىء وليت قد يصمد الشىء زماناً ويصطفيه البقاء
كل أمجادها ضيوف فـــلا عزك عز ولا الـــثراء ثراء
خذ إن استطعت ذرة شعاع وليرافقك فى خباك هباء
كذب لا يرد الفىء مثواك    متى غبت أو يفوتك ماء
وسواء وأنت فى الترب لا يهنيك صيف ولا يضر شتـــاء

ظللتك الظلال واكتنفتك الزهر أو أمعنت بك الرمضاء

دردر الجدود ما هى هـذه الرمم المستكنة الخرساء

وهكذا يمضى فى نفس يشيع فيه روح أبى العلاء المعرى وكآبته وتشاؤمه حتى يتخلص إلى الموتى فى هذه القصيدة الرائعة :

وتعلم علم الفقيـد وطب بآلا وآتـاك طـالع ورجاء

رجل كان ملء برديه عزم فى اعتدال ، وهمة ومضاء

من طمأنينة السهول سجاياه ، ومن رفعة الجبال الإباء

وصلاح فى هذا البيت البديع ينظر إلى قول الشاعر خليل مطران فى واديه:

بلد من حيائه دعة الوادى ومن كبريائه الأهرام

ثم يستمر صلاح فى نغمته الكئيبة فى رثائه للفقيد الغالى فيقول :

إن أريد الصديق كان صديقاً أو أريد السخاء فهو السخاء

ولنعم الحكيم تذعن فى كل ندى لرأيه الآراء

فقدتك البلاد ( يا عم ) لا زحـلة من دونها ولا الأبنـاء

وانظر إلى كلمة ( يا عم ) فى هذا البيت فإنها مع سذاجتها جاءت مشحونة بعاطفة الحب والاحترام .

والديوان مع ذلك ملىء بكل مستطاب عذب ، ولعل من أمتع قصائده قصيدته الرائعة فى تحية ديوان ( محروم ) للشاعر الأمير عبد الله الفيصل التى يستهلها استهلالا رائعاً :

أخا الأقـلام والشطب وموئل كل ذى أدب

لأنـك يوم تشتد الرزايا موئـل العرب

فتـاهم بالمحبـة أنت لا بالجاه والنسب

ورايتهم إذا شـدوا على بـاغ ومغتصب

حببتك قبـل أن ألقـا ك محـولا على طربى

حببتك نغمة عذبت على ثغر الهوى الرطب

وعقلًا هانئ اللفتات مهما كان من صخب

ويستمر فى هذا اللحن الرقيق الصافى مشيداً بالسجايا الكريمة والخلق الرفيع، ثم يعطف قائلًا :

أمحروم ، فدتك الروح ؟ ما الحــرمان للشهب
تعالت لا تنال ولو بظن طوارق الكرب

رحم الله صلاح لبكى فقد كان وتراً من أوتار الشعر العربى الرصين ، وسلام عليه فى الخالدين .

## سينية البحترى

الشاعر الأصيل يكون شعره ترجمة صادقة لخوالجه النفسية وخواطره الفكرية ، فأنت تجـد فى كل قصيدة من قصائده صورة واضحة ورسماً أميناً لكل نبضة من نبضات قلبه ولكل خفقة من خفقات فؤاده ، وتلك هى سمة الشاعر الأصيل الذى لايحوجك إلى تلمس بواعثه النفسية فى مصادر غير مصادر شعره . ومن هذا الطراز الممتاز والنماذج الرفيعة ( البحترى ) ، شاعر الصورة والنغم والموسيقى الرنانة والأسلوب الشفاف ، فما هى الدوافع النفسية وراء قصيدته الشامخة فى ( إيوان كسرى ) .

أنت لا تحتاج إلى التفتيش والتنقيب عن تلك المصادر فى بطون الصحائف والكتب ، فما عليك إلا أن تقرأ القصيدة فإذا أنت وجها لوجه أمام تلك الدوافع النفسية بكل ما فيها من توتر نفسى وفوران شعورى ، فهو يستهلها قائلًا :

| | |
|---|---|
| صنت نفسى عما يدنس نفسى | وترفعت عن جدى كل جبس |
| وتماسكت حين زعزعنى الدهر | التماساً منه لتعسى ونكسى |

إذاً فالشاعر قد انتابته أزمة نفسية كاربة بسبب سوء حظه من دنياه وإقلال ذات يده من حطامها وهنا تصطرع عواطفه بين الطمع والاستجداء ، فتتغلب عاطفة الترفع والتسامى على الطمع والتدنى فيصون نفسه ويرفع كرامته ويصونها من الهوان ويتماسك تماسك الجبل الراسى أمام زعازع العاصفة وزلازل الفاقة..

فقد ألح عليه الدهر بنوائبه واستهدفه بمصائبه حتى إنه ليصرخ :

| | |
|---|---|
| بلغ من صبابة العيش عندى | طففتها الأيام تطفيف وكس |
| حضرت رحلى الهموم فوجهت | إلى أبيض المـــدائن عنسى |
| أتسلى عن الحظوظ وآسى | لمحل من آل ساسان درس |

فقد بلغت هموم العيش قمتها لدى هذا الشاعر العبقرى وتجاوزت حدودها، فلم يجد أمامه إلا الرحيل ، ولكن إلى أين ؟ إلى إيوان كسرى ، ذلك الطود الشامخ والبناء العظيم الذى قاوم عاديات الليالى وعدوان الأيام ، وظل كالرجل الكريم تمر به الحوادث وتمضى بين يديه النوائب وهو لا يزداد إلا شموخاً وعزة وكبرياء ، ذلك هو الباعث النفسى للشاعر البحترى على الرحيل إلى إيوان كسرى وإنشائه لتلك القصيدة الخالدة فيه والتى لو لم يكن له سواها لكان من أعاظم الشعراء ، ثم يمضى الشاعر فى توجيه الغاية النبيلة والهدف السامى الذى دعاه إلى تلك الرحلة فيقول :

حضرت رحلى الهموم فوجهت إلى أبيض المدائن عنسى
أتسلى عن الحظوظ وآسى لمحل من آل ساسان درس

فقد نظر الشاعر إلى حظه من الدنيا فإذا هو قليل وإلى نصيبه منها فإذا هو ضئيل ، فالتفت إلى ما حوله من عبر الدهر ودروس الليالى ومواعظ الأيام ، فرأى أبلغ درس وأجل عظة فيما آل إليه ملك كسرى من اندثار وما انتهى إليه من فناء فكان فى هذا عزاء لنفسه الرقيقة وموعظة لعقله الحكيم ودرساً لقلبه الخفاق بحب الحياة وجمالها ومتعتها وحلاوتها ، وأى عبرة أبلغ وأى درس أفصح من ذلك الإيوان الذى كان مؤنساً للنفس مبهجاً للقلب فأصبح قذى للعين ووحشة للفؤاد . وفى هذه القصيدة تتجلى عظمة البحترى الشعرية وعبقريته الفنية حين يتناول بالوصف العميق والشعور الفياض مشاهد الإيوان الباقية وصوره الناطقة فيصفها بذلك البيان العبقرى والريشة الفنانة حتى تكاد من دقة وصفه ترى كل ما يحتوى عليه الديوان من صور وتحف وجلال وعظمة .

## تواضع المتنبي لابن العميد

لقد عاش المتنبي شاعر العربية العظيم حياته الشعرية متعالياً بفنه معتداً بموهبته مباهياً بعبقريته إلى حد يكاد يبلغ حدود السرف ويجاوز حدود الاعتزاز. فما من قصيدة من قصائده التي أنشأها فى عظماء عصره من الأمراء والوزراء والكتاب إلا وتجد لنفسه نصيباً فيها اعتزازاً بشاعريته وتفاخراً بها ؛ يقول فى قصيدة فى سيف الدولة ابن حمدان :

ودع كل شعر غير شعرى فإننى أنا الطائر المحكى والآخر الصدى
أجزنى إذا أنشدت شعراً فإنما بشعرى أتاك المادحون مرددا

ويقول فيه أيضاً من قصيدة أخرى :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا رب المعانى الدقاق

ويقول فى قصيدة ثالثة :

أفى كل يوم تحت ضبنى شويعر ضعيف يقاوينى ، قصير يطاول

ويقول أيضاً :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غبارى ثم قال له الحق

ويقول أيضاً :

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

هذه الشواهد التى سقناها من شعره تدل دلالة واضحة على كبريائه الأدبية وتعاليه الفنى . . ولكن تعالوا ننظر فى شعره الذى مدح به ( أبا الفضل ابن العميد ) فسنجد عكس ذلك تماماً ، سنجد تواضعاً جمًّا وتطامناً كبيراً أمام هذا الأديب الشامخ ، ذلك أن أبا الفضل ابن العميد كان إلى جانب كونه رجلًا من رجال السياسة والإدارة الممتازين حيث كان وزيراً عظيماً من وزراء عضد الدولة البويهى ، فقد كان من أكابر رجال القلم وأعلام الفكر فى عصره

حتى قيل فيه بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، وهو صاحب الكتاب المشهور الذى كتبه لمخدومه إزاء أحد الخارجين على الدولة؛فقد كتب ابن العميد إلى هذا الخارج عن الجماعة الشاق لعصا الطاعة كتاباً موجزاً ، بلغ فيه النهاية من الوعد والوعيد واللين والتشديد فى كلمات قليلة ومعان كثيرة ، يقول ابن العميد فى كتابه : ( لقد بلغ أمير المؤمنين أنك تقدم رجلًا للطاعة وتؤخر أخرى للعصيان . فاعتمد على أيهما شئت والسلام ) ، بهذه الكلمات الموجزة بلغ ابن العميد من عدوه أقصى غايات الوعد والوعيد . فإذاً فقد كان المتنبى محقًّا حين طامن من كبريائه وخفف من غلوائه عندما قصد ابن العميد ليمدحه ؛ فقد عرف أنه أمام قطب من أقطاب الأدب وعلم من أعلام الفكر وأنه كما قال بحق :

ملك منشد القريض لديه     واضع الثوب فى يدى بزاز

لقد مدح المتنبى ابن العميد بقصيدته المشهورة :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا     وجواك إن لم يجر دمعك أم جرى

ويقول فى هذه القصيدة منوها بمكانة ابن العميد الأدبية :

قطف الرجال القول قبل نباته     وقطفت أنت القول لما نوّرا

من بلّغ الأعراب أنى بعدها     شاهدت رسطاليس والإسكندرا

ورأيت     دارس     كتبه     متبـــديا     متحضرا

وقد نالت هــذه القصيدة الرائعة عناية ابن العميد فناقش بعض أبياتها وتفحص بعض معانيها ووقف عند بعض تراكيبها وانتقد شيئا منها . وهنا نجد المتنبى فى قصيدة أخرى يمدح بها ابن العميد فيعترف بقصوره وقصر باعه أمام هذا الأديب الكبير ، فيقول :

ما كفاه تقصير ما قلت فيه عن علاه

حتى     ثنـــاه     انتقـــاده

## مهمة الشاعر فى الحياة

يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ( الشعر ديوان العرب ) ، وهى كلمة عظيمة من رجل عظيم . ومعنى هذه الكلمة العظيمة — كما أرى — أن الشعر هو سجل المفاخر وسفر الفضائل التى كانت أمتنا العربية ولا تزال تفاخر بها الشعوب وتباهى بقيمها الأمم ، وكلنا يعلم أن الأمة العربية كانت إذا نبغ فى إحدى قبائلها شاعر فحل ابتهجت بذلك وهنأت بعضها بعضاً بهذا الحدث التاريخى العظيم ؛ ذلك لأن شاعر الأمة هو لسانها المعبر عن مفاخرها والمنافح عن أمجادها والمصاول لأعدائها ، يشيد بالقيم الكريمة ويهتف بالمثل العليا ويشجب الرذائل ويزجر مرتكبيها ، بحيث تكون القيم الجليلة والمثل العليا فى حصن حصين من عبث العابثين واستهتار المستهترين . ولقد وقفت كثيراً أسائل نفسى : ما هى مهمة الشاعر فى الحياة ؟ وحاولت أن أجد لهذا السؤال جواباً منطقياً ، فكنت كمن يسأل : لماذا يغنى البلبل ؟ ولماذا ينفح الورد بالعطر ؟ ولماذا يتفتح الروض عن الزهر ؟ تلك أشياء إذا وجدنا عليها جواباً فسنجد لأنفسنا أيضاً جواباً عن مهمة الشاعر فى الحياة .

إن كلمة الشعر نفسها مشتقة من كلمة الشعور ، فمهمة الشاعر فى الحياة إذاً هى التعبير عن الشعور الصادق باللفظ الحى والبيان الجميل ؛ لأن البيان صفة من صفات الإنسان الممتاز ، والشاعر إنسان ممتاز يأخذ من الحياة ويتأثر بها ويعبر عنها تعبيراً صادقاً قوياً لا يستطيعه الإنسان العادى .

ولكنى مع ذلك حاولت أن أجد جواباً على هذا السؤال ، فوجدت الدكتور زكى مبارك رحمه الله يتناول هذا الموضوع تناولا شاعريًّا فنيًّا فيقول : ( إن للشاعر رسالة يؤديها فى العالم هى فهمه العميق لأسرار الجمال ثم غناؤه الساحر فى تمجيد الحسن المصون ، والشاعر الملهم حين يفهم المعانى الروحية لصباحة

الوجوه وأسالة الخدود ورشاقة القدود يعود وهو قيثارة عبقرية يغنى رنينها ساحرا أخاذاً لا يملك الغض منه إلا اصم المسامع أو غاف القلوب ) . فأنت ترى أن الدكتور زكى مبارك يحصر مهمة الشاعر فى تمجيد الحسن الفتان وفهم المعانى الروحية للجمال الإنسانى الذى تموج به الدنيا ويسبح به الوجود ، وهى كما نرى كلمة فيها بعض الحقيقة وليست كل الحقيقة ، كما تنقصها دقة المنطق العلمى الدقيق. فإذا تقدمنا قليلًا من عهد زكى مبارك إلى عهدنا المعاصر ، وجدنا الكاتب العالم الأستاذ سيد قطب ( رحمه الله ) يجرد لهذا الموضوع كتاباً خاصًّا ليتحدث فيه عن مهمة الشاعر فى الحياة .

يقول سيد قطب:(الشعر أحد الفنون الجميلة أو المثل الرفيعة ـ كما يسميها ـ وأكبر مهمة لهذه الفنون جميعها أن تقوم واسطة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون ، وأن تقربنا من المثل الأعلى الذى نرنو إليه كلما عز علينا بلوغه فى عالم الحقيقة ، وهى فى كل صورها نزاعة إلى الكمال المنشود ، وإن اختلفت طرائقها فى هذا النزوع فهى إذ تصوّر الخير محضاً خالصاً تدعو إلى هذا الخير المحض الخالص ، وهى إذ تصور الشر خالصاً كذلك تدعو للاشمئزاز منه وهجرانه ، وهى تجنح فى بعض الأحيان إلى تصوير الخير والشر يتنازعان ، ولكنها تومئ إليك من طرف خفى إلى أن تأخذ بناصر الخير ليفوز ويتغلب على منافسه الخبيث . ووسيلة هذه الفنون جميعها أن تخاطب العاطفة فيما تريد أن تبثه من مبادئ أو تصوّره من إحساس،وهى تختلف فى وسائل المخاطبة، فالموسيقى، وهى فن من الفنون الجميلة، تخاطب العاطفة بأقرب وسيلة وبواسطة مبهمة غير محدودة؛ فما هى إلا نغمات .

وإذاً فالشعر كلما قلت الوسائط بينه وبين العاطفة فى الخطاب كان أنبل وأسمى ، وكان أدخل فى كيان الجمال وأكثر حساسية وشعورا .

## شوقية النيل ظاهرة أدبية فريدة

من عجيب المصادفات وطريف الاتفاقات أن فى تاريخنا الأدبى ثلاثة شعراء عمالقة ماضياً وحاضراً ، تتفق أسماؤهم وتمتد أضواؤهم عبر آفاق الدنيا شهرة باذخة وقمماً شامخة ، كل واحد من هؤلاء الشعراء اسمه ( أحمد ) : أولهم ( أحمد ابن الحسين الكندى ) المعروف ( بأبى الطيب ) المتنبى . وثانيهم ( أحمد ابن سليمان ) المعروف ( بأبى العلاء المعرى ) . وثالثهم (أحمد شوقى) أمير الشعراء، وهو موضوع هذا الفصل ، وأحمد شوقى ـ كما قال كبار نقاد الأدب ـ خاتمة الشعراء المجددين ، وقصيدته التى نظمها فى ( النيل ) تعد من أروع القصائد شكلًا وموضوعاً :

من أى عهد فى القرى تتدفق وبأى كف فى المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من عليا الجنان جداولًا تترقرق

هذه القصيدة التى يبلغ عدد أبياتها مائة وخمسين بيتاً نظمها شوقى فى ليلة واحدة ... نعم فى ليلة واحدة نظم شوقى هذه القصيدة التى تقرؤها من أولها إلى آخرها فتجدها كالسبيكة المفرغة قوة أسر وجزالة لفظ وصفاء ديباجة وموسيقية أسلوب ودقة معنى ومبنى ، ولو لم ينظم شوقى فى حياته الشعرية كلها سوى هذه هذه القصيدة الرائعة لكانت تكفى فى الدلالة على عبقريته وإصالته الشعرية ، كيف وله غيرها الكثير من غرر القصائد وبدائعها.. ومهما كان الشاعر طويل النفس وغزير الموهبة فإن نظم قصيدة كهذه القصيدة يستغرق منه وقتاً طويلًا وجهدا مجهداً لا يقل عن شهر ، فإذا ترخصنا آخذين فى الاعتبار ما للشاعر من إصالة فنية وتجربة طويلة فى نظم القريض وطاقة أدبية هائلة ، قلنا : إنه يستغرق فى نظمها أسبوعاً كاملًا . . ولكن موضع الدهشة ومحل العجب أن هذه القصيدة وعددها مائة وخمسون بيتاً بكل هذا الطول الطويل والأسلوب الجميل

والديباجة المشرقة نظمها شوقى فى ليـــلة واحدة ، فقد روى الشاعر الراحل ( صالح جودت ) رحمه الله فى مقال له نشر بمجلة ( العربى ) العدد ١٣٣ الصفحة ( ٦٤ ) شهر ديسمبر ١٩٦٩ م يقول فيه : إن قصيدة النيل نظمها شوقى فى ليلة واحدة ، وقد شهد ميلادها الشاعر أحمد رامى . يقول صالح جودت : ( وعلى الرغم من أن نقاد العرب يضعون شوقى فى مرتبة الشعراء المؤرخين ، وهم فى كل عصر فحـــول الشعر الذين يسهرون على متابعة الحوادث ويؤرخون لها بمجرد وقوعها وهؤلاء الشعراء قلما يفرغون لرسالة غير هذه الرسالة فإن عبقرية شوقى قد جاوزت حـــدود الشاعر المؤرخ ، فألمّ إلى جانب هذا الشعر بالشعر الذاتى والوجدانى والوصفى ) ، ثم يستطرد صالح جودت قائلًا : وقصيدته فى النيل تعد من أعظم الأعمال الشعرية فى التاريخ العربى .

وقد شهد الشاعر أحمد رامى ميلاد هذه القصيدة وشهد أن شوقيا نظمها جميعها فى ليلة واحدة ، هبط فيها عليه الإلهام سخيًّا رضيًّا ، وكان ليلتئذ مع رامى فى كازينو على شاطئ النيل بالقاهرة ، فكان شوقى يترك رامى فى الكازينو نصف ساعة يقوم خلالها بجولة فى العربة حول الجزيرة ويعود ليملى على رامى عشرين بيتاً ثم يهب هبة أخرى ويعود ليملى عليه عشرة أبيات أخرى ، وهكذا دواليك هبة إثر هبة طوال تلك الليلة حتى انتهت القصيدة كلها قبل أن تنتهى الليلة ) وهذا لعمرى منتهى العبقرية والإصالة فى نظم الشعر . رحم الله شوقيا ؛ فقد كان ظاهرة أدبية فريدة فى تاريخنا الشعرى ، ولعل من الممتع أن نقتطف شيئا قليلًا من أبيات هذه القصيدة الرائعة إتحافاً للقارئ :

من أى عهد فى القرى تتدفق     وبأى كف فى المدائن تغدق

ومن السماء نزلت أم فجرت من     عليا الجنان جداولًا تترقرق

# الرمزية فى الأدب

شاعت فى العصر الحديث عبارة (الرمزية) فى الأدب، كمذهب من مذاهب الأدب المعتبرة التى يكتب بها كثير من الكتاب والشعراء ، كالرومانتيكية والواقعية والبرناسية والكلاسيكية وغيرها من المذاهب والمدارس الأدبية الشائعة فى بعض الأقطار العربية الشقيقة ، وهذه الظاهرة الجديدة على أدبنا العربى تحتاج إلى وقفة قصيرة منا لبحث مدلولها اللغوى وجذورها التاريخية .

ولعل من المفيد أن نعيد الكلمة إلى أصلها الذى اشتقت منه وتفرعت عنه؛ فما هو الرمز فى اللغة ؟ الرمز فى اللغة العربية هو الإشارة باللسان والحاجب والعين ، وهو أيضاً الكلام الخفى المهموس، كما أن من معانيه الألفاظ والأرقام المعدول بها عن دلالتها الأصلية إلى دلالات إصطلاحية أخرى . فمن أدلتها على أنها اللحظ بالعين قول الشاعر :

وقال لى برموز من لواحظه  إن العناق حرام قلت فى عنقى

وقول الشاعر الآخر :

حواجبنا تقضى الحوائج بيننا  فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن هنا يتضح أن الإيماء بالعين نوع من الرمز ، وكذلك الإيماء بالحواجب نوع من الرمز. ومن الأدلة على أن الرمز هو الكلام الخفى المهموس قوله تعالى فى سورة مريم عندما بشر الله نبيه زكريا بغلام اسمه يحيى: ( قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ) .

والرمزية كلون من ألوان التعبير الأدبى لا يصح الأخذ بها إلا عندما يكون المناخ الأدبى الذى يحيا فى ظله الشاعر أو الكاتب مناخاً ضيق العطن حرج الصدر ، فهو عبارة عن مظلة كلامية يتخذها الكاتب أو الشاعر ستاراً ينجو به من سطوة السلطة وقهر الجبروت ، على أن هناك من يرى أن الرمزية لون من

ألوان الأدب الرفيع الذى لا يستعمل اللفظ بمعناه الحرفى المباشر ودلالاته اللغوية المعروفة ، وإنما هو يستخدم إيحاءات الألفاظ وصورها الذهنية ليوجد لدى القارئ مجالًا رحباً للتخيل وعالما كبيراً للتصور الفنى لتفسير اللفظة بحسب مايملك من عمق شعور ورهافة حس ودقة إدراك ، ويدللون على ذلك بمثل قول الشاعر الفرنسى ( بودلير ) فى قصيدة له عنوانها الجمال :

أنا جميلة أيها الفانون كحلم من حجر

وقوله : تتبخر كل زهرة كالمجمرة ، ويهتز الكمان كفؤاد معنى وفلس حزين ، والسماء واجمة جميلة كمذبح رهيب .

فأنت إذا تمعنت فى هذا الشعر الغربى رأيت الشذوذ العجيب فى هذا التعبير الغريب ؛ كيف يكون الجمال كحلم من حجر ، هل الحلم مادة من المواد الحسية التى تلمسها اليد ؟ وكيف يكون الحلم حجراً ؟ وماهى العلاقة بين الحلم والحجر ؟ وهل هناك وجه شبه أو حتى أصبع شبه ؟

ولكن عندما تطلب تفسير هذا المعنى الغريب العجيب يقول لك المفتونون بهذه البدعة الجديدة : إن الشاعر يقصد هنا أن هذا الجمال لا يحزن ولا يبكى ، فهو كالحجر جامد خامد . وإذا كان هذا هو المعنى والتفسير الأمثل لهذا الشعر المرذول ، إذاً فأين هو ذوق الشاعر المرهف ؟ وأين إحساسه الشفاف حين يعمد إلى هذا التعبير الغريب لوصف الجمال الخالد الخلاب بهذه الألفاظ الشاذة وهذه المعانى القبيحة ؟ ثم ما هو الجمال الذى لا يحزن ولا يبكى ؟ إن جمالًا هذه صفته لا شك أنه فاقد الإحساس بالحياة عديم الشعور بها ؛ لأن الحزن والبكاء من صفات الكائن الحى الضاحك الباكى المتألم الشاكى ، فإذا تجرد من هذه الصفة الإنسانية العليا فسمِّه ماشئت ، ولكن لا تظلم الجمال فتخلع عليه صفته الزاهية وهو منها براء ؛ يقول الشاعر العربى :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

أرأيت إلى ذوق الشاعر العربي المرهف حين أراد أن يمثل للإنسان الجامد الشعور البليد الإحساس بجاذبية الجمال والحسن ، لقد مثل هذا الإنسان بالحجر الجلمد الذي لا يحس ولا يشعر .

## الطائرة فى الشعر العربى

عندما نظر الإنسان إلى الطائر المحلق فى الفضاء الرحب والآفاق الواسعة الآماد أغمض عينيه فى أسى ، وتمنى فى لهفة لو أتيح له ما أتيح للطائر المرفرف فى أجواء السماء فيقطع المسافات البعيدة والآماد النائية فى دقائق معدودات ولحظات قليلة ، وخفق قلب الإنسان بالشوق إلى أحبائه وارتعش بالحنين إلى أصفيائه فهتف من أعماق وجدانه :

أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلى إلى من قد هويت أطير

وأراد العباس بن فرناس العالم الرياضى العربى المشهور أن يحقق هذا الحلم الإنسانى العظيم فصنع لنفسه أجنحة وطار بها إلى الجو ، ولكنه لقى مصرعه عندما أراد الهبوط إلى الأرض لأنه لم يدر بخلده أن ذيل الطائر هو الذى يوازن جسمه حين يهبط إلى الأرض، ولذلك ترى الطائر عند هبوطه إلى الأرض يهتز ذيله هزات منتظمة حتى يكون أول شىء من جسمه يلامس التراب .

واستمرت أحلام الإنسانية فى سيرها الدائب وأشواقها اللاهثة تريد أن تحقق أحلامها ، فتركب الفضاء وتمتطى الرياح للوصول إلى مطالبها المادية وأشواقها الروحية ، وامتزج الشعر بالعلم فى عقل الإنسان الواسع الطموح الكبير الخيال،فبدأت محاولات الطيران تخطو مرة وتعثر أخرى كالطفل عندما يتعلم المشى حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن من قوة ومتانة وسرعة وراحة بفضل تقدم العلوم التكنولوجية والفنون الصناعية ، وتحققت الأحلام ، وأصبح ما كان خيالاً واقعاً ملموساً وحقيقة قائمة محسوسة . ولم يعد المحب ينظر إلى سرب القطا وهو يحلق فى أجواء السماء فيناديه قائلاً :

أسرب القطا هل من يعير جناحه
لعلى إلى من قد هويت أطير

فما على المحب الآن وقد خفق بقلبه الشوق وفاض بفؤاده الحنين إلا مراجعة أقرب مكتب للخطوط الجوية ، وإذا هو فى خلال ساعات محدودات قد حقق رغبته ونال أمنيته .

ألا ما أقرب الواقع من الخيال فى حياتنا العلمية المعاصرة .

نعم إن أكثر حقائق العلم التى نراها الآن بأعيننا ونسمعها بآذاننا ونتلمسها بأيدينا كانت فى العصور الماضية والدهور الغابرة خيالات شعرية وشطحات أدبية ، وما أكثر ما قرأنا فى القصص الشعبية ( كألف ليلة وليلة ) عن البساط الطائر الذى ينتقــل بصاحبه من مكان إلى آخر ومن قطر إلى قطر . فكنا نبتسم ساخرين ونتأمل مستغربين .

إن الطائرة فى الشعر العربى قد حركت قرائح شعرائنا الكبار وعلى رأسهم أمير الشعراء ( أحمد شوقى ) ، فلهذا الشاعر العظيم قصيدة عن الطائرة تعتبر فى عالم الشعر ( طائرة ) محلقة بمعانيها العميقة ولفتاتها الدقيقة وألفاظها الحلوة وأسلوبها الآسر ؛ يقول شوقى :

قم سليمان بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما

وبهذا الاستهلال البارع والافتتاح الفارع يلتفت ذهن القارئ فى لمحة خاطفة إلى ما جاء فى آيات القرآن عن تسخير الريح لنبى الله سليمان فى قوله تعالى: ( ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ) ، ويستمر شوقى فى الاحتفال بعظمة هذا الطائر الجبار وعظمة مخترعيه فيقول :

حين ضاق البحر والـــبر بهم أسرجوا الريح وساسوها اللجاما

وما أبدع وأروع كلمة (أسرجوا) الريح ؛ إنها صيغة مبتكرة من ابتكار شوقى وأسلوبه الرفيع فى اختراع الألفاظ وابتداع المعانى .

ثم يعود مخاطباً النبى سليمان عليه السلام قائلا :

صار ما كان لكم معجزة آية للعـــلم آتاها الأناما

أجل لقد أصبحت معجزة سليمان آية من آيات العلم سخرها الله للبشرية لينتفع بها الإنسان فى كل مكان وكل زمان . ثم يعود شوقى بحسه المرهف ولحظه الدقيق إلى تصوير هيئة الطائرة وهى ترتفع عن الأرض إلى السماء فى تدرج وصعود فيصفها وصفاً بارعاً فى كل حركة من حركاتها وكل هيئة من هيئاتها :

رفعوا لولبها فاندفعت ... هل رأيت الطير قد زف وحاما
شال بالأذناب كل ورمى ... بجناحيه كما رعت النعاما
ذهبت تسمو فكانت أعقباً ... فنسوراً فصقوراً فحماما
تنبرى فى زرق الأفق كما ... سبح الحوت بدأماء وعاما

وانظر وتأمل هذا البيت البارع (تنبرى الخ) وأمعن نظرك فى هذه الكلمة الشاعرية المجنحة فى لفظة ( زرق ) الأفق ، وصور لنفسك بحيرة ماء زرقاء صافية تعوم فيها سمكة فى شكلها ولونها كالطائرة وهى سابحة فى زرقة الأفق وجمال السماء . وبشعور شوقى الإنسانى الدقيق يتأمل هذه الطائرة وما بذلته الإنسانية فى سبيل اختراعها من وقت وجهد ومال ورجال ، فيسبح بعظمة الخالق جل شأنه قائلا :

خالق العصفور حيرت به ... أمما بادت وما نالت مراما
أفنوا النقدين فى تقليده وهو ... كالدرهم ريشاً وعظاما

ويواصل شوقى رحلته الفكرية فى الترحيب بهذا الاختراع الحديث الذى يسر شئون الناس ووثق بين صلاتهم الاجتماعية والثقافية بهذه الوسيلة الحديثة من وسائل المواصلات البشرية ، ويبرز بذهنه اللماح الهدف الإنسانى من وراء هذا الاختراع ، فيتوجه بالدعاء إلى الخالق سبحانه وتعالى قائلا :

رب إن كانت لخير صنعت ... فاجعل الخير لناويها لزاما
وإذا اعتز بها الشر غداً ... فتعالت تمطر الموت الزؤاما

فاملأ الجو عليها رجماً　　رحمة منك وعدلًا وانتقاما

ثم يأتى شاعر آخر بعد شوقى . ذلك هو الشاعر ( فوزى المعلوف ) الشاعر المهجرى المعـــروف صاحب قصيدة على ( بساط الريح ) وهى ملحمة من ملاحم الفكر الإنسانى الشفاف والتى قال عنها الشاعر الأسبانى (فرانشيسلو فيلاسباسا): إن كل مقطع من مقاطعها الأربعة عشر له فى ألفاظه ومعانيها قيمة كبيرة يتفق فيها سمو الخيال ورقة الشعور، ولا يعنينا من هذه الملحمة العملاقة إلا ما يختص منها بوصف الطائرة ؛ فقد ركب هذا الشاعر العملاق الطائرة وسبح خياله وفاضت شاعريته بمعان وخواطر وأفكار إنسانية عالية ومشاعر فلسفية سامية.

ويستهل فوزى المعلوف ملحمته بهذا المقطع المرقص الراقص :

فى عباب الفضاء فوق غيومه
فوق　نسره　ونجمته
حيث بث الهوى بثغر نسيمه
كل　عطـــره　ورقته

موطن الشاعر المحلق منذ البدء　　لكن بروحـــه لا بجسمه
أنزلته فيه عروس قوافيه　　بعيداً عن الوجود وظلمه
ملك قبـــة السماء له قصر　　وقلب الأثير مسرح حكمه
ضارب فى الفضاء موكبه النـــور وأتباعه عرائس حلمه

أجل إن روح الشاعر الأصيل منذ البدء موطنها السماء ، السماء العابقة بعطر الحق والخير والجمال ، فإذا حقق العلم حلم هذا الشاعر وارتفع بجسمه إلى السماء فإن روحه بمعانيها الكبيرة ومشاعرها النبيلة هناك فى السماء منذ بدء الخليقة . ولكن ما هو هذا الاختراع العجيب الذى حمل جسمه من الأرض إلى السماء . اسمع وصفه فى شعر فوزى المعلوف :

صَعِّد الطرف فى الأثير تجدنى　　قاطعاً فى الأثير ميلًا فميلا

خبباً تارة وطوراً وئيداً صعداً مرة وأخرى نزولا
فوق ( طيارة ) على صهوات الريح راحت تروض المستحيلا
هى طير من الجماد كأن الجن فى صدرها تحث الخيولا
حمحمت تضرب الفضاء برجليها فشقت إلى السماء سبيلا
ثم مدت إلى النجوم جناحين وجرت على السماء ذيولا
غرقت فى الأصيل حيناً وعامت بعد حين تعلو قليلًا قليلا
ترتدى من دخانها بردة الليل وتلقى عن منكبيها الأصيلا
وعليها من الشرار نجوم عقدت فوق رأسها إكليلا
حلقى حلقى وألقى على الأفلاك رعباً وروعة وفضولا

وبهذا الأسلوب الآسر والألفاظ المختارة والصور المبتكرة والوصف الشائق يمضى فوزى المعلوف فى فلسفته الإنسانية منطلقاً من دهشته الشاعرية لهذا الطائر الحديدى الجبار الذى كان همزة الوصل بين روحه السماوية وجسمه الترابى . ولو أردنا أن نستعرض كل ما فاضت به قرائح شعراء العروبة عن الطائرة لطال بنا المجال واتسع النطاق ، ولكن حسبنا قطرة من البحر الفياض وزهرة من تلك الحدائق الغن .

# بَشَامة بن الغدير

( بشامة بن الغدير ) : اسم لطيف الجرس عــــذب النغم أعجبنى لطفه وجذبتنى ظرافته فجعلته موضوعاً لهذا الفصل ؛ لأننى رأيت فى اسمه اللطيف وجرسه العذب الخفيف ما يشف عن صفاء الطبيعة العربية وبعدها عن التكلف الثقيل والتصنع الممجوج ؛ ذلك لأن العرب فى جاهليتهم قد اختلطوا ببيئتهم الطبيعة اختلاطاً كاملا : شجراً وحيواناً وصخراً .

وأطلقوا أسماء الأشجار والحيوان والأحجار هكذا عفو الخاطر فى سهولة ويسر على أسماء أبنائهم .. فأنت تقرأ فيما تقرأ من أسمائهم اسم : طلحة، وثمامة ، وعرار ، وحنظلة ، وصخر ، وفهد ، وأسد ، والنمر . إلى آخر تلك الأسماء التى استمدوها من مظاهر الطبيعة حولهم . وامتزجوا بها امتزاج الماء بالماء واللبن باللبن .

ونعود إلى صاحبنا ( بشامة بن الغدير ) فنذكر على التو ذلك البيت الشرود من الشعر العربى القائل :

أتذكر إذ تودعنا سليمى     بعود بشامة سقى البشام

والبشام من شجــــر البادية الطيب الرائحة اللين الأغصان ، ومنه تتخذ المساويك لتطيّب بها رائحة الأفواه وتجلى الأسنان .

فأما الغدير هذا أبو بشامة فقد وفق كل التوفيق حين سمى ابنه بشامة. وهل البشام إلا نتاج الغدران ؟!

إن بشامة بن الغدير شاعر من كبار شعراء الجاهلية ، ولـكنه شاعر مقل. وقد كان سيداً فى قومه عظيم المال وافر الثراء . وقد عجبت لابن سلام الجمحى حين جعله من شعراء الطبقــــة الثانية الإسلامية مع أن بشامة خال زهير ابن أبى سُلمى الشاعر الجاهلى الشهير . .

وإلى بشامة ينسب ما حفل به شعر زهير من جزالة وحكمة ونصوع ؛ فإذا كان زهير ابن أبى سلمى مات قبل الدعوة الإسلامية بأعوام فكيف يكون بشامة شاعرا إسلاميا وهو خال زهير الذى مات قبل بزوغ شمس الدعوة الإسلامية .

أعتقد أن ابن سلام الجمحى قد جافاه الصواب وحاد عن الجادة فى تصنيفه لبشامة فى طبقاته المشهورة مع الشعراء الإسلاميين . وكيف يكون ذلك وابن سلام الجمحى يحدثنا فى ترجمته لهذا الشاعر قائلًا : (أخبرنا أبو خليفة ، أخبرنا ابن سلام قال : حدثنى أبو عبيدة أن بشامة بن الغدير كان كثير المال ، وكان ممن فقأ عين بعير فى الجاهلية ، وكان الرجل إذا ملك ألف بعير فقأ عين فحلها . وكان قد أقعد فلما حضرته الوفاة لم يكن له ولد فقسم ماله بين إخوته وبين أخويه وأقاربه . فقال له زهير ـ وهو ابن أخته ـ : ماذا قسمت لى يا خالاه؟ فقال : أفضل ذلك كله . قال زهير : ما هو ؟ قال بشامة : قد ورثتك شعرى ). فهذه الرواية تؤكد أن بشامة بن الغدير شاعر جاهلى .

ومن شعره الملىء بالحكمة ووفرة العقل قوله :

يا قومنا لا تسومنا التى كرهت ... إن الكرام إذا ما أكرهوا غشموا

لا تظلمونا ولا تنسوا قرابتنا ... إطووا إلينا فقدما تعطف الرحم

لا ترجمن أحاديثاً وتنتهكوا ... منا محارمنا قد تتقى الحرم

ولا يكون لكم يا قومنا مثلًا ... فيما مضى من زمان سالف جلم

## شاعر من قريش

الشعر روح الثقافة ولباب الأدب ، والمفروض فى الشاعر أن يكون رقيق الشعور دقيق الحس راجح العقل عميق المعرفة يميز بين الخبيث والطيب ، والعلم والجهل ، والضلال والهدى ، ولقد أجمع المؤرخون أنه عند بزوغ دعوة الإسلام فى قريش كان ( عبد الله بن الزبعرى ) من أشهر شعرائها ومن فحولهم .

والشاعر فى الجاهلية كان حكيم القبيلة وعالمها وصاحب الرأى فيها ، وهذه المكانة التى تنظر بها البيئة العربية إلى الشاعر جديرة بأن تجعله فى المستوى اللائق دقة فهم ورجاحة عقل ، بحيث يستحق المكانة التى يحتلها فى البيئة العربية اجتماعياً . ولكن ما وقع من الشاعر ( ابن الزبعرى ) كان على العكس من ذلك . . ولقد صدق أمير المؤمنين ( عمر بن الخطاب ) رضى الله عنه حين سئل وقد ضرب الإسلام بجرانه . . كيف خفى على أشراف قريش وساداتها وهم هم حلوماً وعقولاً عظمة الدعوة الإسلامية وما تنادى به من أخلاق فاضلة ومبادىء سامية ، فناصبوها العداء ووقفوا منها ذلك الموقف المضاد ؟ فقال رضى الله عنه مجيباً من سأله ذلك السؤال : لقد كان فى رجالات قريش أحلام كالجبال ، ولكن أضلها باريها .

ولقد صدق عمر رضى الله عنه؛ فكثيراً مايضل العقلاء ، وينحرف الحكماء ، وتعمى القلوب ، وتضل البصائر . أقول هذا وأنا أتحدث عن شاعر قريش ( عبد الله بن الزبعرى ) القرشى السهمى الذى سخر شاعريته فى خدمة الضلال ، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين ، حتى إذا كان عام الفتح ضاقت عليه الأرض بما رحبت ففر هارباً إلى نجران ، وفى هذا الموقف الدقيق انبرى له شاعر الإسلام حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال فيه بيتاً واحداً جعله يفكر فى أمره ويتلوى منه تلوى السليم ؛ قال حسان :

لا تعدمن رجلًا أحلك بغضه نجران فى عيش أجـــد لئيم

وطار البيت فى الآفاق على لسان الركبان وفى شفاه الرواة حتى بلـغ سمع ابن الزبعرى فقام وقعد ، ثم تذكر أن رسول الهدى وهادى البشرية إلى النور أبر به من نفسه فلو جاءه تائباً مسلماً لاستقبله الرسول بأخلاقه الكريمة وسجاياه العظيمة متناسياً كل إساءته السابقـة ، وعفا الله عما سلف ، والإسلام يجبّ ما قبله . وعلى هذا عقـد عزمه وغادر نجران عائداً إلى الحجاز ليضع نفسه بين يدى الرسول . وإنه لفى طريقه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه تحركت شاعريته بهذه الأبيات من الشعر التى تدل على اعترافه وإقراره بما كان فيه من ضلال وفساد وما هو صائر إليه من هدى ورشاد ؛ يقول فى أبياته هذه معتذراً :

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجارى الشيطان فى سنن الـ غى أنا فى ذاك خاسر مثبور

يشهد السمع والفؤاد بما قلـ ت ونفسى الشهيد وهى الخبير

جئتنا باليقين والصدق والبر وفى الصدق واليقين السرور

أذهب الله ضـ ـ الجهل عنا وأتانا الرخاء والميسور

فقبل منه الرسول عذره وشمله بفضله ، وأسلم الشاعر الجهر وحسن إسلامه، وشهد المشاهد كلها بعد الفتح . أصبح من شعراء الإسلام يذود عن حياضه بلسانه وسنانه :

## طرائف عن الأدباء

حين يرتقي وعى الشعوب وينتشر بين الجماهير الإحساس بحاجتهم إلى الثقافة كما يحتاجون إلى الأكل والشرب ، يصبح الأدب وقراءة الأدب ضرورة من ضرورات الحياة وحاجة من أهم حاجاتها ؛ لذلك تجد الجماهير فى العالم الغربى تفتقد أدباءها إذا انقطعوا عن الكتابة أو غابوا عن الساحة الثقافية : فقد حدث أن توقف الأديب الروائى الانكليزى المشهور ( سومرست موم ) عن الكتابة وقتاً طويلًا لم ينشر فى خلاله أى شىء ، فسأله أحد الصحفيين الأمريكيين عن سبب ذلك ، فأجابه قائلًا : أنا لا أحسن الضرب على الآلة الكاتبة ، وقد انكسر قلمى . وما إن نشر هذا الجواب فى الصحف حتى انهال على الأديب الكبير عدد كبير من أقلام الحبر من جميع أركان الولايات المتحدة بمختلف أشكالها وألوانها .

فما كان من الكاتب الروائى الكبير إلا أن ضرب كفًّا بكف وقال : بأى عذر أعتذر الآن . وهذا منتهى ما يصل إليه الترف الفكرى من تدلل واعتزاز ؛ ذلك أن المجلات والصحف فى أوربا قد عرفت معرفة اليقين أن تحلية صحفها بكتابة الأدباء البارزين فيها يزيد من انتشارها ، ويزيد من اهتمام الجمهور بها ، وعائد ذلك كله يعود على المجلة أو الصحيفة التى تهتم بالإنتاج الثقافى والأدبى ، وتوليه النصيب الأكبر من العناية والاهتمام . وكدليل على ذلك نورد هذه الطرفة بالإضافة إلى الطرفة السالفة ، فقد طلب مدير مجلة أمريكية جديدة إلى الروائى المشهور ( أرنست همنجواى ) أن يكتب له بالمجان مقالًا يساعد على انتشار المجلة ؛ فغضب (همنجواى) غضباً شديداً ، وأرسل إلى مدير المجلة رسالة من عدة صفحات يشرح فيها أنه رجل أعمال يكتب ليكسب خبز يومه وقد استغل مدير المجلة الأمريكية هذه الرسالة من الروائى الكبير

ونشرها في مجلته وبعث إليه جواباً يشكره على تلك الرسالة الغاضبة قائلا : إن مقالك الذي كان على شكل رسالة هو مقال رائع ، ولا شك أن قرائي سيقدرونه كل القدر ، كما أفدت أنا نفسي ، وهكذا تكون ياسيدي العزيز قد ساعدت على نشر مجلتي وساهمت في ازدياد رواجها . وهكذا يجد الأديب الغربي في مجتمعه المثقف كثيراً من الاهتمام وكثيراً من العناية مما يوفر له حياة كريمة ومقاماً ملحوظاً ، بل إن رجال السياسة وأقطاب الإدارة في أوربا لا تشغلهم أعمالهم السياسية ولا واجباتهم الإدارية عن متابعة النتاج الأدبي العميق ، وتجدهم في المواقف السياسية يرجعون إلى مخزونهم الفكري للاستشهاد بما يحفظونه من تلك الآثار في المواقف السياسية الخاطئة ؛ فقد استشهد الزعيم العمالي ( بيفن ) في مجلس العموم البريطاني على خطأ حكومته في عدوانها على قناة السويس عام ١٩٥٦ م براوية مدام بوفاري قائلا ( إن العملية الإنكليزية الفرنسية في قناة السويس تذكرنا ببطلة ( فلوبير ) ، ( مدام بوفاري ) التي تنتقل من إثم إلى إثم حتى الانتحار ) .

وليس من شك في أن الأمة العربية في عصورها الذهبية الزاهية قد مارست ألواناً عديدة من هذا التقدير الأدبي والاهتمام الفكري بالأدب والأدباء والعلم والعلماء والشعر والشعراء على اختلاف مناهجهم وتباين أساليبهم ، وما حكاية النضر بن شميل مع الخليفة المأمون ببعيدة عن أذهان القراء ، وغيرها الكثير .

## اللغة بين الحقيقة والمجاز

ينقسم علماء اللغة إلى قسمين : قسم يقول بأن اللغة كلها حقيقة وليس فيها مجاز . والقسم الآخر بعكس ذلك ؛ ويقول إن اللغة كلها مجاز ولا حقيقة فيها . وهناك قسم معتدل . يرى أن اللغة فيها حقيقة وفيها مجاز، وهؤلاء هم المصيبون.

ولكن ما معنى الحقيقة فى اللغة ؟ إن الحقيقة فى اللغة هى دلالة الكلمة على المعنى الأصلى الموضوع للاستعمال . فحين نقول : « رأيت البدر » نفهم بدون أى التباس أن المرئى هو هـذا الكوكب المتألق فى كبد السماء نوراً وضاء . وحين نقول : « لبست الثوب » نقصد هذا النسيج الذى يغمر أبداننا ويستر أجسامنا ، هذه هى الحقيقة اللغوية . أما المجاز فهو نَقْلُ المعنى الأصلى للكلمة إلى معنى آخر لوجود مناسبة بينهما فى صفة من الصفات أو حالة من الحالات . ومعلوم بالبداهة أن جميع المخلوقات تحتاج إلى أسماء تدل عليها ليتسنى للناس التفاهم بها ونقل الأفكار والمشاعر بين بعضهم والبعض دون غموض ولا لبس .. فإذا تقرر هذا علمنا أن اللغة ، إذاً ، فيها حقيقة ، وفيها مجاز . والذى يميز بين النوعين هو وجـــود القرينة المعنوية التى يلتفت الذهن الإنسانى إلى معرفتها وتمييزها بمجرد سماع الجملة من الكلام ، فإذا سمعنا شاعراً يقول :

بدت قمراً ومالت خوط بان    وفاحت عنبراً ورنت غزالا

عرفنا بالبداهة وفهمنا من أول وهلة أن هذا الكلام لا يقصد به الحقيقة ، بل هو مجاز، وإلا فكيف يتأتى للمرأة الجميلة أن تتوافر فيها كل هذه الصفات المتباينة أتكون قمراً وغصناً وعنبراً وغزالا ، وهذه المسميات تتباين شكلا ومضموناً . إذاً ، فالشاعر هنا استعمل المجاز واستعار للصفات الجميلة فى هذه المرأة هذه المسميات لإبراز محاسنها الرائعة، فوجه هذه المرأة حين بدت كان كأنه قمر، وقدها حين مشت كان كأنه غصن بان ،ورائحتها حين تضوعت كانت كأنها عنبر، وعينها

حين نظرت كانت كأنها عين غزال، هذه الأسماء التى وردت فى مجال التشبيه كلها مجاز فى هذه المرأة الجميلة .

مثال آخر: يقول الله سبحانه وتعالى فى تمثيل وتصوير تلاحم المرأة بالرجل والرجل بالمرأة (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) ونريد أن نقف عند كلمة (لباس) هذه أحقيقة هى أم مجاز؟ ما من شك أن كلمة (لباس) هنا مجاز لا حقيقة، أما حقيقتها اللغوية فهى الثوب الذى يشمل البدن ويلتصق به ، ولأن التلاحم الذى يقع بين المرأة والرجل شبيه بالاشتمال فقد نقلت الكلمة من معناها الأصلى إلى هذا المعنى الجديد ، فكانت مجازاً فى غاية الروعة . وإلا فإننا لو نطقنا بهذه الكلمة فى صورتها المجردة من هذه القرينة وقلنا وقد دخل علينا رجل (جاء اللباس) فإن ما يتبادر إلى الذهن هو صورة لمجموعة من القماش والبز، ولو وضعنا هذه العبارة بشكل أوضح وأصرح وقلنا (جاء لباس المرأة) لما ذهب السامع إلى شىء سوى ما تلبسه المرأة من فساتين وغيرها من أنواع الألبسة .

ومثال آخر: يقول الله سبحانه وتعالى (فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف) فهل اللباس هنا حقيقة أم مجاز؟ ما من شك أيضاً أن اللباس فى هذه الآية هو مجاز لا حقيقة . ولما كان اللباس يشمل سائر البدن ويغطى جميع أجزائه فقد جاءت الآية هنا بصيغة اللباس فى صورة بالغة الروعة أيضاً ــ لنتصور ما حاق بالجماعة التى أذاقها الله لباس الجوع والخوف ؛ لاشتمال هاتين الحالتين اشتمالاً كاملاً على هذا المجتمع الذى كفر بأنعم الله فأذاقه الله لباس الجوع والخوف . وإذاً فقوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) هنا تصوير للبر بالوالدين والرأفة بهما فإن كلمة جناح هنا مجاز نقلت إلى وصف هذه الحالة النفسية الرقيقة ، والمجاز فى كلام بلغاء العرب وفصحائهم كثير تزخر به كتب الأدب فى القديم والحديث ولعل من أروع ذلك خطبة الحجاج المشهورة (إن أمير المؤمنين نثل كنانته وعجمها عوداً عوداً ، فرآنى أصلبها مجاراً وأقدمها عوداً وأنفذها

نصلًا ، فلو أخذنا هذه الكلمات ( كنانة . وعوداً . ونصلًا ) على حقيقتها فى الوضع اللغوى ، لعلمنا أن أمير المؤمنين نثر حقيبة نباله واختبرها عوداً عوداً فوجد الحجاج أصلبها عوداً ، والحجاج إنسان من لحم ودم ، فكيف أصبح عوداً من خشب . إذن فهذه الكلمات هنا كلها مجاز نقلت من حقيقتها اللغوية إلى حقيقتها المجازية فناً وأدباً وبلاغة ، والمقصود أن أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان اختبر رجاله فوجد الحجاج أقواهم شكيمة وأمضاهم عزيمة فاختاره لولاية العراق .. وشتان بين الكلمتين فى حقيقتها ومجازها ، وكذلك الكناية وهى أن يكنى عن الشىء بلازمه أو بمشابهه كقوله تعالى فى موجبات الوضوء ( أو جاء أحد منكم من الغائط ) معناه أو جاء أحد منكم بعد قضاء حاجته الطبيعية ، وإلا فكلمة الغائط فى اللغة هى المكان المطمئن من الأرض ، ولما كانت مثل هذه الأمكنة تستعمل لقضاء الحاجة الطبيعية لأنها أستر للإنسان من العيون ، فقد كنى سبحانه وتعالى عن ذلك وكانت من البلاغة والفصاحة بحيث لا تعدلها أى لفظة تحل محلها .

وبعد فإن الكناية والمجاز والاستعارة وسواها من المصطلحات البيانية إنما وضعها الإنسان ليرتفع بلغته من مرتبة الضرورة إلى مرتبة الترف والكمال وهذا هو الفن ، وإلا فكيف نفسر حب الإنسان للتوشية والتزويق فى مسكنه وملبسه ومطعمه لو اكتفينا بالحقائق من كل هذه الأشياء ؟ فما بالك بالكلام وهو الذى لولاه ما كان للإنسان حضارة ولا مدنية ، وما عرفنا أن هناك نوعاً من الكلام يسمى الأدب والفن ، والإنسان يشعر ثم يفكر ثم يتكلم ثم يعمل . ولعل من أطيب وأجمل ما نختم به هذا الفصل قول الشاعر ديك الجن الذى يستحق أن يسمى شحرور الفن :

لما نظرت إلى عن حدق المها ... وبسمت عن متفتح النوار
وعقدت بين قضيب بان أهيف ... وكثيب رمل عقدة الزنار
عفرت خدى فى الثرى لك طائعاً ... وعزمت فيك على دخول النار

## المتنبي شاعر سيف لا شاعر قلم

الحديث عن المتنبي شاعر العربية العظيم لا تنقطع مادته ولا تنطفىء شعلته؛ فقد شغلت عبقريته الفنية رجال الأدب ونقاد الشعر قديماً وحديثا . ولا نظن أن شاعراً حظى باهتمام النقاد وعناية المؤرخين ماحظى به المتنبي، ولا نريد فى هذا الفصل القصير أن نطرق هذه الناحية من عبقرية أبى الطيب ، ولكننى أريد أن ألفت النظر إلى ظاهرة استرعت انتباه نقاد الأدب قديما واسترعت انتباههم حديثا، هذه الظاهرة فى شعر المتنبي هى هدوء موجه وضحالة فكره حين يتصدى للوصف الأدبى لفن الكتابة الأدبية ، ووقوعه فى سخافات وغثاثات معنوية ولفظية يستنكرها متذوق الفن الشعرى حين يقرؤها لمثل هذا الشاعر العظيم . . أما أنا فلا أرى أى غرابة فى ذلك ، ولا أرى أى مجال للاستنكار لأن المتنبي شاعر من شعراء القوة الحسية وأعنى بالقوة الحسية ذلك الشعر الذى يصدر من نفس شاعر يتعلق قلبه وتطمح أمانيه إلى صولة السلطان وجبروت النفوذ ، فهو فى نظرى ( شاعر سيف ) إذا وصف المعارك وصدام الأبطال رأيت أمامك النقع ثائراً والسيوف لامعة والأسنة خاطفة والأبطال بين مشيح بعامل رمح وملوّح من السنان بترس ، كما يقول البحترى . . أما إذا تصدى لأدب الكتابة الفنية فهو فى هذا المجال لا طبع له ولا سليقة ، فإذا تعمل وكلف نفسه غير طبيعتها أسفّ وسخف . . يقول شارح ديوانه الواحدى اللغوى العربى الكبير : إن المتنبي تلقى كتابا من أبى الفتح ابن العميد يشتاقه ويستزيره فانظروا إلى شعره فى وصف كتاب الوزير الأديب ( أبى الفتح ابن العميد ) :

بنفسى الأنام كتاب ورد  فدت يد كاتبه كل يد
فأخرق رائيه ما رأى  وأبرق ناقده ما انتقد
فقلت وقد خرس الناطقون  كذا يفعل الأسد ابن الأسد

ولو خرس المتنبى ولم يصف كتاب أبى الفتح ابن العميد بما وصف لكان خيراً له . وكأنه لم يسمع قط بوصف كلام ، وأى موضع هنا للإخراق والإبراق فى وصف الألفاظ والكتب ، هلا احتذى على مثال قول البحترى يصف كلام عبد الملك بن الزيات وزير المعتصم العباسى :

لتفننت فى الكتابة حتى عطل الناس فن عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ما شك امـــرؤ أنه نظـــــام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا حك فى رونق الصباح الجديد

إلى آخر تلك الأبيات البحترية العذبة الحلوة ، ولكن المتنبى كما قلت شاعر سيف لا شاعر قلم وفنان حرب لا فنان أدب ، على أن للمتنبى رغم ذلك كله أبياتا فى وصف الكتابة قالها فى ابن العميد نفسه جاءت فى قصيدته الرائية :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وجواك إن لم يجر دمعك أوجرى

يقول فى هذه القصيدة :

قطف الرجال القول قبل نباته وقطفت أنت القول لما نورا
أنت الوحيد وقد ركبت طريقة فمن الرديف وقد ركبت غضنفرا
من مبلغ الأعراب أنى بعدها شاهدت رسطاليس والإسكندرا

## الفهرست

| رقم الصفحة | العنوان |
|---|---|

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢٤٩ / ١٩٧٧

طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه
بالقاهرة

## مطبوعات نادي جازان الأدبي

١ ـ كتاب الإحصاء السنوي .

٢ ـ قصص من الجنوب .

٣ ـ مسابقة الشعر .

٤ ـ الأدب الشعبي : الأستاذ أحمد محمد العقيلي

٥ ـ الينابيع ديوان شعر : محمد علي السنوسي

٦ ـ الأرض والحب ديوان شعر : أحمد يحيى بهكلي

٧ ـ مع الشعراء دراسة أدبية : محمد علي السنوسي

تحت الطبع

٨ ـ المعجم الجغرافي لمنطقة جازان : الأستاذ محمد العقيلي



المؤلف في سطور :

١ ـ من مواليد مدينة جازان عام ١٣٤٣

٢ ـ له أربعة دواوين شعر هي :

القلائد ـ الأغاريد ـ الأزاهير . الينابيع

٣ ـ حائز على ميدالية تكريم ذهبية من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

٤ ـ رائد من رواد الأدب السعودي